The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Postgraduate
Faculaty of Literature
Master of History



الجامعة الإسلامية ـ غزة
عمـادة الدراسات العلـيـا
كـلـيـــــــة الآداب
قـســم الـتـاريــخ والآثار

طرائق وأساليب المماليك في القضاء على الثورات في مصر وبلاد الشام (648-923هـ/1250-1517م)

Methods and Means of the Mamluks in the Elimination of Revolutions in Egypt and the Levant (648-923AH / 1250-1517AD)

إعداد الباحث

محمد أحمد محمد فوجو

إشراف الدكتور

غسان محمود أحمد وشاح

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

من قسم التاريخ بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة – فلسطين

رجب 1439هـ – إبريل 2018م

غزة – فلسطين

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

طرائق وأساليب المماليك في القضاء على الثورات في مصر وبلاد الشام

Methods and means of the Mamluks in the elimination of the revolutions in Egypt and the Levant

(648-923هـ/1250-1517م)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

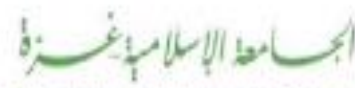
Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the university's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, in the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student' s name	محمد أحمد محمد فوجو	الاسم
Signature		التوقيع
Date		التاريخ







The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

هاتف داخلي: 1150

ج س غ/35/

Ref: الرقم 2018/20/5م

Date: التاريخ

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد أحمد محمد قوجو** لنيل درجة الماجستير في كلية **الآداب**/ قسم **التاريخ** وموضوعها:

طرائق وأساليب المماليك في القضاء على الثورات في مصر وبلاد الشام (648-923هـ/1250-1517م)

Methods and Means of the Mamluks in the Elimination of the Revolutions in Egypt and the Levant (648-923هـ/1250-1517م)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **السبت 19 شعبان 1439**هـ الموافق **2018/05/05**م الساعة **الثالثة والنصف** مساءً، في قاعة مبنى **طيبة** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. غسان محمود وشاح	مشرفاً ورئيساً	
د. إبراهيم أحمد أبو شبيكة	مناقشاً داخلياً	
د. أشرف صالح محمد سيد	مناقشاً خارجياً	

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية الآداب/قسم التاريخ**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza
P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين

التاريخ: 22 / 5 / 2018 م


المواد المصاحبة : 3106456

<u>الموضوع/ مطابقة مواصفات النسخة الإلكترونية</u>

بعد الإطلاع على الأسطوانات التي تحتوي على رسالة الطالب/ محمد أحمد محمد عبد ...
رقم جامعي: 120130494 كلية: ...... قسم: ......

فإننا نحيطكم علماً بأنها مطابقة للمواصفات المطلوبة المبينة أدناه:

جميع فصول الرسالة في ملف (WORD) واحد وليست ملفات متفرقة.

تحتوي الأسطوانة على ملف (PDF + WORD).

مطابقة التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

مطابقة النص في الصفحة الورقية مع النص في الصفحة الإلكترونية لجميع صفحات الرسالة.

ملاحظة: ستقوم عمادة المكتبات بنشر الرسالة العلمية كاملة (PDF) على موقع المكتبة.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب **توقيع المكتبة المركزية**

ملخص الدراسة باللغة العربية

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة الحالية للتعرف على أهم الثورات والفتن الداخلية في مصر وبلاد الشام زمن الدولة المملوكية البحرية والبرجية (648–923هـ/1250–1517م)، وهي نوعان: الثورات الشعبية التي قام بها بعض فئات الشعب، بسبب ظلم بعض السلاطين والولاة، وثورات الأمراء والنواب المعترضين على الحكام أو الطامعين في السلطة، والأساليب السياسية والعسكرية التي استخدمها المماليك في التعامل مع تلك الثورات والفتن الداخلية.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج التاريخي التحليلي الوصفي في إعداد هذه الدراسة.

أهم نتائج الدراسة:

توصل الباحث في هذه الدراسة إلى نتائج مهمة أبرزها: أن الصراع على السلطة والطمع في المناصب بين الأمراء، وظلمهم لمعظم فئات الشعب، والتعامل معهم بقسوة، كان من أهم الأسباب لتلك الثورات والفتن الداخلية خاصة خلال حكم سلطان ضعيف أو صغير السن، وأن هذه الثورات والفتن قد تركت نتائج سلبية على الكثير من المجالات في الدولة العربية الإسلامية وبالأخص أنها اجتمعت في كثير من الأوقات مع انتشار المجاعات والأوبئة، وقد استخدم السلاطين والأمراء والنواب المماليك الكثير من الأساليب السياسية والعسكرية في التعامل مع تلك الثورات والفتن، نجح بعضها وفشل الآخر.

أهم توصيات الدراسة:

إعداد المزيد من الدراسات البحثية التي تتناول الثورات والفتن الداخلية بشكل عام، وفي زمن المماليك بشكل خاص، وأسبابها، لما لها من نتائج سلبية كبيرة على التنمية والتطور في جميع المجالات في الدول الإسلامية، بالإضافة إلى الخسائر البشرية، وندعو الثوار وطلاب الحرية والعدالة لأخذ العبرة من تلك الثورات للتخطيط الجيد لثوراتهم والتنبه إلى أساليب المسؤولين المماليك في تعاملهم معها التي يستخدمها بعض المسؤولين في وقتنا الحاضر، وعدم السماح لهم باستخدام الكثير من فئات الشعب في تحقيق أهدافهم الشخصية التي تخدم أعداء الأمة الإسلامية، وتنهب ثرواتها البشرية والطبيعية، وتقف سداً في وجه محاولات التقدم والتنمية والعودة الى الطريق الصحيح.

Abstract

Study aims:

This study tackled the most important civil revolutions and strife in Egypt and the Levant during the Mamluk and Burjese state (648-923 / 1250-1517). These are two types of popular revolutions carried out by some people groups because of the oppression of some sultans and governors, or aspirants in power. The study also explored the political and military methods used by the Mamluks in suppressing those revolutions and civil strife.

Study methodology:

The researcher adopted historical, analytical and descriptive approach in the preparation of this study.

Main results of the study:

In this study, the researcher found important results including that: The conflict over power and the greed of taking positions among the princes, and their injustice to most of people groups that included cruelly; was one of the most important reasons for these revolutions and civil strife to blow up, especially during the reign of a weak or young Sultan. That left negative results in many areas of Arab and Muslim State and in particular that it met many times with the spread of famine and epidemics. Sultans, princes and Mamluk Deputies used many of political and military methods in suppressing people, some of them went successful, while other methods failed.

Recommendations of the study:

The preparation of more research studies that tackle down these revolutions and civil strife in general, and in the time of the Mamluks in particular. These studies should focus on revolutions' causes, because of their significant negative consequences on the development of all areas in Islamic States, and the loss in human lives. Additionally, it is important to call for revolutionaries, freedom and justice seekers to take lessons of those revolutions to plan their revolutions well and to pay attention to the Mamluk methods in dealing with such revolutions that are currently used by some officials of the present day. Those should not be allowed to use some people groups in achieving their personal goals that serve the enemies of the Islamic nation and plunder its human and natural resources. Those should be also banned as they stand a dam in the face of attempts to progress, development and returning to the right path.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

صدق الله العظيم

[آل عمران : 8]

الإهداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وأزال الله به الغمة، إلى الأمي الذي علم المتعلمين. **إلى سيد الخلق رسولنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.**

إلى من كلله الله بهيبة الوقار وعلمني العطاء بدون انتظار إلى من علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر **إلى والدي العزيز.**

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من أسكنتني شغاف قلبها حباً وحناناً **إلى أمي الغالية** " أطال الله في عمرهما".

إلى إخواني **زكريا** ، **وسعدي** ، **ومروان، وزكي، وحجازي، وخالد** أدامهم الله عزا وسندا لي.

إلى رفيقة دربي وشريكة حياتي **زوجتي الغالية** " **أم أنس**" التي تحملت معي عناء الدراسة.

إلى بهجة عمري والشموع المضيئة أبنائي الأحبة **أنس، وسامية، وأحمد وهالة** الذين تحملوا بُعدي وانشغالي عنهم.

لكم جميعاً أهدي ثمرة نجاحي؛؛؛؛

الباحث

محمد أحمد فوجو

شكر وتقدير

حمداً لله القائل في كتابه الكريم [لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ] [إبراهيم: 7]، وصلاةً وسلاماً على خاتم الأنبياء والمرسلين القائل "لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ" (رواه البخاري) وعلى آله وصحبه أجمعين...

أما بعد لا يَسعُني في هذا المقام الكريم إلا أن أتقدم بشكري وأمتناني وعرفاني لصرحٍ عظيم، ذلك البستان الذي أينعت أزهاره، ونضجت ثماره، وكنت نِتاج غرسه وثمره، لطالما افتخرت بانتسابي له، وكان لي تاجاً ألوح به بين أقراني، ووساماً يتلألأ على صدري، جامعتي الموقرة الجامعة الإسلامية – غزة.

وأخص في هذا الفضل وذلك العرفان من أبدعوا في رسم هذا الصرح واهتموا بصقل أبنائه على الأصالة والتميز، ذلك الطاقم الحريص على السمو والإبداع، طاقم التدريس بالجامعة وأساتذتي الأفاضل كلٌ باسمه ولقبه وأبعث بالتحية لمن أكسبوني الأفق الرحيب والأمل القريب لمن يبذلون جهدهم لارتقائي، ويسعون دوماً لاكتشاف إبداعي واهتماماتي هم أساتذتي في قسم التاريخ والأثار الكرام، الذين أكن لهم كل الاحترام والتقدير، ومن بينهم الدكتور **غسان محمود وشاح** الذي لم يتوانَ في إرشادي خلال طريق إعدادي لهذه الدراسة.

كما وأتقدم بجزيل الشكر والتقدير لسعادة الدكتور/ **أشرف صالح محمد سيد،** وسعادة الدكتور/ **أبراهيم أحمد أبو شبيكة،** على تفضلهما بمناقشة هذه الرسالة، وعلى ما أضافاه لي من تعديلات وتوجيهات، فلهما مني جزيل الشكر والعرفان والتقدير.

وأتقدم بالشكر أيضاً للأستاذ : **مدحت زكي أبو غالي** لتفضله بمراجعة وتدقيق هذه الدراسة لغوياً وإملائياً.

وأشكر أيضا الباحث **محمد الياس أبو مصطفى** وكل من بادر إلى تقديم أي مساعدة لي، في إتمام هذه الدراسة.

الباحث

محمد أحمد فوجو

فهرس المحتويات

إقرار.. ب
ملخص الدراسة باللغة العربية.. ت
Abstract... ث
الإهداء .... ح
شكر وتقدير.. خ
فهرس المحتويات.. د
مقدمة:.. 1
أهمية الدراسة: 1
منهجية وطريقة الدراسة:.. 2
حدود الدراسة: 2
الصعوبات التي واجهت الباحث:...................................... 2
تقسيمات الدراسة:.. 3
الدراسات السابقة:... 3
الفصل الأول... 5
أهم الثورات زمن دولة المماليك (648–923هـ/1250–1517م)......................... 5
المبحث الأول: الثورات الشعبية زمن دولة المماليك البحرية: 5
تمهيد:.. 5
أولاً_ الثورات الشعبية ضد الانقلابات العسكرية واستبداد الأمراء بالحكم ضد السلاطين المماليك:.. 6
1– ثورة العامة (الحرافيش) الأولى ضد الأمير بيبرس الجاشنكير المتمرد على السلطان الناصر محمد بن قلاوون (707هـ / 1307م): 7
2– ثورة العامة (الحرافيش) الثانية ضد بيبرس الجاشنكير بعد سيطرته على الحكم بتهميش السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام 709هـ / 1309م:.................... 9
3– ثورة العامة (الحرافيش) بالتحالف مع الأمير أيدغمش ضد الأمير قوصون في عهد السلطان الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد (742 هـ/1341م): 11
ثانياً_ الثورات الشعبية ضد نظام الحكم (الحكام الشرعيين):........................ 13
1_ ثورة الأعراب في الصعيد بقيادة حصن الدين بن ثعلب ضد السلطان المعز أيبك (652 هـ / 1254م):.. 13

2_ ثورة الكوراني الشيعي ضد السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري (658هـ / 1260م): 14

3_ ثورة العامة (الحرافيش) ضد والي القاهرة الأمير الشريف بكتمر عام (770هـ/1369م):.. 16

المبحث الثاني: ثورات الأمراء والولاة زمن دولة المماليك البحرية:.................. 17

تمهيد:.. 17

أولاً _ ثورات الأمراء والولاة في مصر:.. 17

1_ ثورة الأمير عز الدين أيبك الأفرم في الصعيد ضد السلطان المعز أيبك (653هـ / 1255م): 17

2_ ثورة أمراء من المماليك ضد السلطان السعيد بركة بن السلطان الظاهر بيبرس عام (678هـ / 1279م):.. 18

3_ سيطرة الأمير قلاوون على الحكم وعزل السلطان سُلامش بن الظاهر بيبرس عام (673هـ/1274م):.. 20

ثانياً _ ثورات الأمراء والولاة في بلاد الشام:....................................... 21

1_ ثورة الأمير علم الدين سنجر الحلبي في دمشق ضد الظاهر بيبرس (658هـ / 1260م):.. 22

2_ ثورة الأمير أقواش البرلي في حلب على الظاهر بيبرس (660هـ / 1262م): 23

3_ ثورة الأمير سنقر الأشقر ضد السلطان المنصور بن قلاوون وإعلانه الإستقلال في بلاد الشام(678 هـ / 1279م):... 24

4_ ثورة السلطان الناصر محمد بن قلاوون على السلطان بيبرس الجاشنكير وعودته للحكم عام(709هـ / 1309م):... 25

المبحث الثالث: الثورات زمن دولة المماليك البرجية:................................ 28

تمهيد:.. 28

أولاً : ثورات العامة (الحرافيش) ضد المماليك البرجية:............................ 28

_ ثورة العبيد زمن السلطان الأشرف سيف الدين برسباي عام (840هـ / 1436م): 28

ثانياً: ثورات الامراء و الولاة زمن دولة المماليك البرجية:.......................... 29

أ–ثورات الأمراء و الولاة زمن دولة المماليك البرجية في مصر: 30

1_ ثورة الأمير منطاش ضد الأمير يلبغا الناصري عام (791هـ / 1389م): 30
2_ ثورة الأمير الظاهر أبو سعيد جقمق على السلطان العزيز جمال الدين أبو المحاسن (842هـ / 1438م):... 32
3_ ثورة الأمير قرقماس على السلطان جقمق (842هـ / 1438م):....... 33
4_ ثورة الأمير إينال العلائي على السلطان المنصور عثمان عام (857هـ/1453م) : 35
5_ ثورة المماليك الجلبان (الأجلاب) على السلطان الأشرف إينال العلائي (859هـ / 1455م) : 35
6_ ثورة الأمير قانصوة خمسمائة زمن السلطان الناصر محمد أبو السعادات بن قايتباي عام (892هـ / 1487م):.. 38
ب–ثورات الامراء و الولاة زمن دولة المماليك البرجية في بلاد الشام:............ 39
1_ ثورة الأمير يلبغا الناصري نائب حلب ضد السلطان الظاهر برقوق (791هـ/1389م): 39
2_ ثورة السلطان برقوق في بلاد الشام بعد خلعه من حكم مصر على يد الامير يلبغا الناصري والامير منطاش عام (791هـ / 1389م):..................... 41
3_ ثورة الأمراء في بلاد الشام على السلطان المظفر أحمد والامير ططر (824هـ/1421م): 42
4_ ثورة الامير تغري برمش نائب حلب ضد السلطان الظاهر جقمق (842هـ/1438م) : 43
5_ ثورة الأمير اقبردي الدوادار زمن السلطان الناصر محمد أبو السعادات بن قايتباي عام (904هـ/ 1499م) : 44
الفصل الثاني 48
الأساليب السياسية في التعامل مع الثورات زمن الدولة المملوكية........................ 48
(648هـ–923هـ/1250م–1517م).. 48
المبحث الأول: الأساليب السياسية ضد الثورات الشعبية:......................... 48
أولاً– أسلوب الترغيب والترهيب: 48
ثانياً : استخدام الشعب في الثورات:... 50
ثالثاً : أسلوب توزيع الأموال والهدايا على العامة:.............................. 52

رابعاً : اسلوب المقاومة الثقافية: 54
المبحث الثاني: الأساليب السياسية ضد ثورات الأمراء: 56
تمهيد: 56
أولاً : أسلوب التفاوض مع الخصم: 56
ثانياً : أسلوب الإغراءات المالية والهدايا :.................................. 57
ثالثاً : إضعاف الطرف الثاني وتفريق مصادر قوته وإنشاء قوة مضادة له: 63
رابعاً : استخدام أسلوب الترغيب والترهيب: 66
خامساً : استخدام أسلوب الخطر الخارجي:.................................. 68
سادساً : استخدام علماء الدين في إثارة الرأي العام على الخصم :............. 69
سابعاً : التظاهر بالثورة ضد السلطان لجمع الخارجين عن الطاعة والتعامل معهم:
.... 72
ثامناً : الاستفادة من المحايدين وإبعادهم عن الخصم: 73
تاسعاً : استغلال انشغال الثوار بالغنائم والتسرع للحصول على المكاسب المادية: 74
عاشراً : استخدام الخليفة لكسب نوع من الشرعية ضد السلطان:................. 75
الحادي عشر : استغلال الخلاف بين اطراف الثورة وتفريقهم عن بعض: 76
الفصل الثالث.. 80
الأساليب العسكرية في التعامل مع الثورات زمن الدولة المملوكية..................... 80
(648هـ-923هـ/1250م-1517م).. 80
المبحث الأول: الأساليب العسكرية ضد الثورات الشعبية: 80
أولاُ : استخدام أسلوب الحسم العسكري المباشر:............................. 80
ثانياً : استخدام أسلوب القوات الأمنية الخاصة :............................. 83
المبحث الثاني: الأساليب العسكرية ضد ثورات الأمراء:......................... 85
أولاً : الحسم العسكري المباشر:... 86
ثانياً: التدرج في استخدام القوة العسكرية:.................................. 93
ثالثاً: التحصن في القلاع ومواجهة العدو:.................................. 95
رابعاً: الضربات الأمنية الاستباقية ضد الأمراء والقادة والنواب الطامعين في الحكم:
.... 97
خامساً : زرع الفتنة والخلاف بين الأمراء قادة الثورات: 97
سادساً : محاربة الثورة بضربها بثورة أخرى:................................. 99

سابعاً : سياسة الترغيب والترهيب: 100
النتائج والتوصيات.. 105
أولاً : النتائج: 105
ثانياً : التوصيات:.. 107
المصادر والمراجع.. 109

قائمة الملاحق

ملحق رقم (1) جدول قائمة سلاطين دولة المماليك البحرية 648-784هـ/1250-1382م
.... 116
ملحق رقم (2) جدول قائمة سلاطين دولة المماليك البرجية 784-923ه/1382-1517م118
ملحق رقم (3) جدول قائمة أهم الثورات الداخلية في الدولة المملوكية...................... 120
ملحق رقم (4) خريطة دولة المماليك عند قيامها... 122
ملحق رقم (5) خريطة توضح خط سير السلطان الناصر محمد عند عودته لمصر 709هـ
.... 123
ملحق رقم (6) خريطة دولة المماليك البرجية في أقصى اتساع لها 124

مقدمة:

سيطر المماليك على الحكم في مصر وبلاد الشام والحجاز وغيرها من المناطق، بعد ضعف وتفكك الدولة الأيوبية وعجزها عن مواجهة الأخطار التي تهدد الدولة الإسلامية خاصة المغول الذين اجتاحوا العراق ومناطق من بلاد الشام ودمروا الكثير من الإنجازات الحضارية الإسلامية وقتلوا الآلاف من المسلمين، والصليبيين الذين مازالوا يسيطرون على كثير من مدن الشام وتهديدهم للمسلمين لم ينته بتحرير القدس بل استمر إلى أن طردهم المماليك نهائياً من بلاد الشام.

وتعرضت دولة المماليك لثورات شعبية ومن قبل الأمراء منذ تأسيسها، وقد كانت تهدد الحياة، وتحول دون الاستقرار والأمن في بداية حكم المماليك، وقد عانى المماليك من رفض المصريين لحكمهم، و تمرد بعض الأمراء، وقد أتبع سلاطين المماليك في الدولتين البحرية والبرجية أساليب ووسائل عدة لإخضاع المتمردين.

وقد تنوعت أساليب سلاطين المماليك في القضاء على الثورات، فاتبع مع كل ثورة أساليب ووسائل سياسية وعسكرية مناسبة للقضاء عليها، فمنها باللين، ومنها بالترغيب ومنها بالترهيب، ومنها بتعزيز الجند لتحميسهم على القتال، ومنها ضرب الخصوم بعضهم ببعض، ومنها السرعة والتنظيم في القضاء عليهم، وغيرها من الأساليب والوسائل المناسبة، وكان القضاء على الثورة يعتمد على قدرة السلطان المملوكي على اختيار القائد المناسب الذي يفهم نقاط قوة وضعف المتمردين، واختيار الجنود المناسبين لمهمة للتعامل معهم، وإذا كان السلطان والقائد يملكون من الدهاء والقوة والهيبة، ما يمكنهم من القضاء على هذه الثورة، بالإضافة إلى توفير الدولة المتطلبات اللازمة للقضاء على الثورة، كإرسال المدد في الوقت المناسب، وإرسال الأموال والدعم النفسي واللوجستي لجيش السلطان المملوكي، إلى أن يتمكن من القضاء على المتمردين بسهولة.

أهمية الدراسة:

1- قلة الدراسات التي تتعلق بأساليب الحكام في التعامل مع الثورات الداخلية.

2- يشمل البحث في هذا المجال موضوعاً جديداً لم يكتب عنه أحدٌ من قبل – في حدود علم الباحث- يساهم في إثراء المكتبة العربية والقارئ العربي والمسلم.

3- قد تساهم في تنبيه طلاب الحرية والعدالة بالأساليب التي يمكن أن يستخدمها الحكام المستبدون ضد ثوراتهم.

4- قد ترشد الحكام المسلمين بضرورة الانتباه للخوارج ومثيري الفتن وتدلهم على الأساليب الناجحة للقضاء عليهم.

5- بيان الأساليب والوسائل الناجحة في القضاء على الفتن والثورات الداخلية.

6- قد توضح للحكام الصالحين ضرورة الاستعداد جيداً لثورات الغوغاء، الذين يستعدون دائما لإثارة الفتن والثورات.

7- تنبيه الحكام الصالحين من بعض القادة العسكريين الذين ينوون الإطاحة بالحاكم من أجل الوصول إلى السلطة وإراقة كثير من دماء المسلمين.

منهجية وطريقة الدراسة:

اتبع الباحث المنهج التاريخي التحليلي الوصفي في إعداد هذه الدراسة، واعتمد الباحث على المصادر في دراسته.

حدود الدراسة:

- الحد الزماني: هو المد التي تحتوي عصر دولة المماليك (648-923هـ/ 1250-1517م).

-الحد المكاني: تركز الدراسة على منطقة مصر وبلاد الشام.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

واجه الباحث العديد من الصعوبات أثناء دراسته، أهمها:

- قلة الدراسات – في حدود علم الباحث- التي تناولت موضوع الدراسة.
- ندرة توفر مراجع حديثة تناولت موضوع الدراسة.
- المشكلات التي واجهت جميع الباحثين في قطاع غزة بسبب الحصار الظالم، وأهم هذه المشكلات الانقطاع المتواصل للتيار الكهربائي.

وتغلب الباحث على هذه المشكلات من خلال الاجتهاد والاعتماد على المصادر المتوفرة، وإيجاد البدائل الممكنة لتخطي الصعوبات.

تقسيمات الدراسة:

قسم الباحث دراسته إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: تناول أهم الثورات والفتن الداخلية في مصر وبلاد الشام زمن الدولة المملوكية البحرية والبرجية (648-923هـ/1250-1517م)، وهي نوعان: الثورات الشعبية التي قام بها بعض فئات الشعب، بسبب ظلم بعض السلاطين والولاة، وثورات الأمراء والنواب المعترضين على الحكام أو الطامعين في السلطة.

الفصل الثاني: تطرق إلى دراسة الاساليب السياسية التي تعامل بها السلاطين والمسؤولين المماليك مع الثورات والفتن الداخلية الشعبية وثورات الأمراء والنواب التي حدثت ضد نظام الحكم بشكل عام أو ضد السلاطين والنواب والأمراء بشكل شخصي، مثل أسلوب الترغيب والترهيب، والأموال والهدايا، واستخدام علماء الدين، وترقيات العسكرية والسياسية، والثورات الشعبية المضادة، وغيرها .

الفصل الثالث: يشمل دراسة الأساليب العسكرية التي تعامل بها السلاطين والمسؤولين المماليك مع الثورات والفتن الداخلية الشعبية وثورات الامراء والنواب التي حدثت ضد نظام الحكم بشكل عام أو ضد السلاطين والنواب والأمراء بشكل شخصي، مثل الحسم العسكري المباشر، والاعتقالات الأمنية للمسؤولين عن الثورة، والتحصن في القلاع، وغيرها.

الدراسات السابقة:

- أبو حرام، أحمد : ثورات العربان وأثرها على الحياة العامة زمن سلاطين المماليك (648-923هـ) / (1250-1517م)، رسالة ماجستير غير منشورة، مصر، 1989م.
- عبد العال، سيد محمود:ثورات العربان وأثرها في الاقتصاد المصري زمن سلاطين المماليك (648-923هـ)/(1250-1517م)، بحث غير منشور، جامعة الفيوم، مصر،2001م.
- اسكندر، سلوى رشيد: التاريخ السياسي والعسكري للدولة المملوكية في عهد الظاهر بيبرس (658-676هـ/1260-1277م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، 1430هـ/2009م.
- أبو مصطفى، محمد: دور الخطر المغولي في توحيد الجبهة الداخلية للمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة ، 1437هـ/2016م.

الفصل الأول

أهم الثورات زمن دولة المماليك

(648-923هـ/1250-1517م)

الفصل الأول

أهم الثورات زمن دولة المماليك (648–923هـ/1250–1517م)

المبحث الأول: الثورات الشعبية زمن دولة المماليك البحرية:

تمهيد:

الدارس للتاريخ يجد أن هناك الآلاف من الثورات، والانقلابات، والفتن الداخلية التي وقعت في البلاد المختلفة من العالم، وفي جميع العصور، منها ما كان سببه الظلم والفساد في الدولة، ومنها بسبب عدم تمكن الحاكم من إدارة البلاد، ومنها بسبب الطمع في الحكم من بعض المتنفذين والمسؤولين في الدولة، وغيرها من الأسباب.

خلال فترة حكم المماليك لمصر وبلاد الشام يصعب التفريق بين الثورات والانقلابات العسكرية، وذلك بسبب كثرتها، وتشابك وتداخل الأحداث فيها، والاختلافات بين الأمراء بين مؤيد ومعارض للسلطان، حتى العامة كان جزء منها مع السلطان وجزء أخر ضده، وتعددت الأسباب لكثرة الثورات والانقلابات زمن الدولة المملوكية البحرية والبرجية، ويرجح أن أهم هذه الأسباب، هو نظام الإقطاع العسكري الذي اتبعه المماليك، والنفوذ الكبير للأمراء المماليك، وسيطرة كل أمير على مجموعة من المماليك يشتريهم ويربيهم ويصبح ولائهم له لا للدولة، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي كان يعيشها العامة من الشعب نتيجة لانتشار الكثير من الأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية خلال تلك الثورات، كل ذلك ساعد الأمراء الطامعين في الحكم على انقضاضهم على السلاطين الصغار، أو الضعاف، وحتى الأقوياء إذا سنحت الفرصة ووجدوا الأعوان على ذلك من الشعب أو الأمراء، وسواء كان سلطاناً عادلاً أو ظالماً، يستحق الخروج عليه أو لا يستحق ذلك.

وسواء كانت هذه الأحداث ثورات، أو انقلابات، قام بها الأمراء أو الشعب، أو الاثنين معاً، فإن هذه الأحداث كانت نوعاً من أنواع الفتن داخل الدولة الإسلامية، أشغلت المسلمين عن الكثير من المتغيرات في العالم في العديد من المجالات، خاصة العلمية والكشوفات الجغرافية، التي بدأ يطورها الغرب الأوروبي، والتي كانت سبب في قوة الأعداء سياسياً، واقتصادياً، وعسكرياً وغير ذلك، وضعف المسلمين خاصة المماليك في مصر والشام. وبسبب كثرة هذه الفتن سنتحدث عن أهمها، زمن الدولة المملوكية البحرية والدولة البرجية.

تتميز دولة المماليك بشدة تنافس الأمراء على السلطة، ولكن لم تكن الثورات من الأمراء والقادة العسكريين فقط، بل امتدت هذه الفتن إلى كثير من فئات الشعب؛ بسبب ميول الشعب لأمير على حساب أمير آخر، والأمير الذي يتميز بالشدة والشجاعة تكون شعبيته أكثر وسط المجتمع

المصري والشامي، وفي مصر وبلاد الشام قامت العديد من الثورات الداخلية الشعبية، منها ما كان ضد نظام الحكم بشكل عام، ومنها ما كان ضد السلطان بدعم من داخل النظام الحاكم(1)، وقامت بعض الفرق الدينية من الفاطميين الشيعة، الذين حاول البعض منهم إرجاع الحكم الفاطمي الشيعي إلى مصر وبلاد الشام بعد القضاء عليه على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي، مستغلاً بعض الفئات المهمشة في المجتمع، ومنها ثورات ضد ظلم بعض المسؤولين من الولاة والنواب والأمراء، ومنها ضد السلاطين أنفسهم، خاصة الذين يسيطرون على الحكم بالقوة بعد عزل السلطان الشرعي، ومنها محاولة الانفصال عن الحكم المركزي في القاهرة مثل منطقة الصعيد، وبلاد الشام(2)، وغيرها.

ومن أهم الثورات الشعبية التي وقعت زمن دولة المماليك البحرية:

أولاً: الثورات الشعبية ضد الانقلابات العسكرية واستبداد الأمراء بالحكم ضد السلاطين المماليك:

حاول كثير من كبار أمراء المماليك خاصة الذين يملكون المناصب السياسية والعسكرية المهمة الاستبداد بالحكم والتخلص من السلطان بكثير من الوسائل كالسجن، أو النفي، أو القتل، أو فرض الإقامة الجبرية على السلطان داخل القلعة، وغير ذلك من الوسائل، وهذا دفع كثير من فئات الشعب للاحتجاج ضد هذه الإجراءات التعسفية التي تهدف إلى عزل السلطان، خاصة إذا كان السلطان يتمتع بشعبية واسعة في الدولة خاصة بين المجتمعين المصري والشامي، وقد كانت هذه الاحتجاجات والتضامن مع السلطان الشرعي للبلاد، تجبر الأمراء المتمردين على التراجع عن قراراتهم في كثير من الأوقات، حتى بعد نجاح بعضهم في جلوسه على العرش، فكان الشعب سلاحاً قوياً في يد هؤلاء السلاطين.

---

(1) الشرقاوي، مديحة، برسباي وسياستاهُ الداخلية والخارجية (ص7)

(2) الشرقاوي، مديحة، المرجع نفسه (ص7)

1- ثـورة العامــة (الحــرافيش) الأولــى ضــد الأميــر بيبــرس الجاشــنكير المتمــرد علــى الســلطان الناصر محمد بن قلاوون (707هـ / 1307م):

سيطر الأميران بيبرس الجاشنكير[1] وسلار[2] على الحكم زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون[3]، وكانا يتخذان العديد من القرارات دون الرجوع إليه أو حتى استشارته، فشكا ذلك لبعض الأمراء المماليك المتواجدين في القلعة، واستدعى الأمير بكتمر الجوكندار[4] في السر، وأعلمه بنيته التخلص من الأميرين بيبرس الجاشنكير وسلار؛ بسبب استبدادهما بالحكم، وقد أشار الأمير بكتمر الجوكندار على السلطان الناصر محمد بن قلاوون، بأن يجمع مماليكه وأنصاره في الليل، وذلك بعد تفرق المماليك، وعودة كل أمير منهم إلى بيته، وبعد إتمام غلق القلعة في القاهرة، ينادي على كل من هو في طاعة السلطان فليجتمع تحت القلعة، ثم يداهم الأميران بيبرس الجاشنكير وسلار في بيوتهما على غفلة من مماليكهما[5]، ويتم التخلص منهما بالقتل، أو السجن، أو النفي إلى أحد القلاع البعيدة عن مركز الحكم، علم الأميران بيبرس الجاشنكير وسلار بتلك المكيدة التي أعدها السلطان الناصر محمد بن قلاوون بهدف التخلص منهما، حيث كان لهما عيون داخل

---

(1) بيبرس الجاشنكير هو أحد أمراء المماليك، لمع نجمة في دولة الناصر محمد بن قلاوون، وأستولى على الحكم بعد مغادرة الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك، وبعد عودة الناصر محمد للسلطنة قام باستدراج بيبرس الجاشنكير، ثم قتله في أواخر عام 709هـ / 1309م، الصقاعي، تالي كتاب وفيات الأعيان (ص57 ،58).

(2) سيف الدين سلار المنصوري، أصله مغولي، ترقى إلى رتبة عالية في دولة المماليك، أحضر معه أسرته إلى مصر ، وأستبد مع بيبرس الجاشنكير عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وتحكموا بالسلطة وسيطروا على خزينة الدولة، وبعد عودة السلطان محمد بن قلاوون للسلطنة في المرة الثالثة، نفاه وصادر إقطاعاته، الصقاعي، تالي كتاب وفيات الأعيان، (ص 89).

(3) السلطان الناصر محمد بن قلاوون ولد سنة 684هـ/ 1285م، وتوفي يوم الأربعاء تاسع عشر ذي الحجة 741هـ/1340م ودفن بالمدرسة المنصورية بين القصرين في مصر وكان يملك شعبية كبيرة وسط العامة، الكتيبي، فوات الوفيات (ج2 / 433).

(4) الأمير سيف الدين الأبو بكري المنصوري من كبار الأمراء مقدمي الألوف، وصف بالشجاعة والفروسية والنباهة، وكان له شأن كبير في دولة المماليك إلى أن وقع خلاف بينه وبين السلطان الناصر محمد، وتم حبسة في القلعة حتى توفى عام 728هـ/1328م، الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر (ص 702 ، 703).

(5) المقريزي: السلوك لمعرفة الملوك (ج412/2) ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج8 / 168 – 171).

القلعة تراقب تحركات السلطان، واتفقا مع الأمير سيف الدين بلبان الدمشقي[1] والي القلعة وكان تابعاً لهما، أن يوهم من في القلعة أنه أغلق أبوابها ويطرف أقفالها ويعبر بالمفاتيح كالعادة ففعل ذلك، وظن السلطان ومماليكه أنهم قد حصلوا على غرضهم، وانتظروا حضور الأمير بكتمر الجوكندار فلم يفعل، وعندما أرسل السلطان من يحضره وجده قد تحالف مع الأميرين بيبرس الجاشنكير وسلار، وحلف لهما على القيام معهما ضد السلطان، وبدأ الصدام بين السلطان والأميرين يدخل مرحلة خطيرة جداً، وأعلن كلاً من الطرفان النفير بين أنصاره[2].

عندما أشيع في القاهرة عن نية قتل السلطان أو إخراجه إلى الكرك، اعترض العامة على ذلك، وهذا يدل على أن السلطان الناصر محمد كان يتمتع بسيرة حسنة بين الناس، ولم تفتح الأسواق وخرج معظم فئات الشعب إلى القلعة، وكان الأمراء قد حاصروها، لمنع السلطان من الخروج دون علمهم، واجتمع مماليك السلطان وتسلحوا يريدون الخروج للقتال، لكن السلطان منعهم من ذلك، إدراكاً منه لقوة الأمراء، وأنه إذا واجههم بالقوة العسكرية قد تكون الغلبة من نصيبهم، لذلك فضل التعامل معهم بالسياسة والحكمة بدل القوة خاصة بعد تخلي بعض الأمراء عنه[3]. في تلك الأثناء زادت أعداد العامة تحت القلعة وبدأوا بالهتاف للسلطان الناصر محمد، وتحول تمرد الأمراء على السلطان إلى ثورة شعبية ضدهم وبدأ هؤلاء في مواجهة الشعب، وحاولوا التعامل معهم بأسلوب الترغيب والترهيب[4] لاحتواء الأمر، فاستغل السلطان هذه الثورة للتخلص من سيطرة الأمراء واستبدادهم بالحكم.

يمكن القول أن شعبية السلطان الناصر محمد بن قلاوون كانت سنداً له، عندما حاول الأميران بيبرس الجاشنكير وسلار الإطاحة بحكمه، وفي الحقيقة إن القاعدة الشعبية الكبيرة للسلطان أربكت مخطط الأميرين.

---

(1) سيف الدين بلبان الدمشقي أحد كبار الأمراء المماليك في القلعة، شارك مع الجيش المصري في التصدي للكثير من التهديدات على الحدود في بلاد الشام، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج9 / 12).

(2) المقريزي، السلوك (ج413/2) ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة (ج8 / 171).

(3) المقريزي، السلوك (ج413/2) ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة (ج8 / 171 ، 172).

(4) المقريزي، السلوك (2ج/413).

2- ثـورة العامــة (الحــرافيش) الثانيــة ضــد بيبــرس الجاشــنكير بعــد سـيطرته علــى الحكــم بتهميش السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام 709هـ / 1309م:

خرج السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام 709هـ من مصر متجهاً إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج، ومعه الكثير من مماليكه وبعض أمراء المماليك الكبار، وعندما وصل إلى الكرك(1) دخل قلعتها واستقر بها، وأمر جمال الدين أقوش(2)نائب السلطنة بها، والأمراء الذين حضروا في خدمته، بالمسير إلى مصر، وأخبرهم أنه جعل السفر إلى الحجاز وسيلة حتى يصل إلى الكرك؛ بسبب استبداد الأميرين بيبرس الجاشنكير وسلار بالسلطة، وتجاوز الخطوط الحمراء في الدولة، مثل: الانفراد بالأموال، والأمر والنهي، ولم يتركا للسلطان غير الاسم، هذا بالإضافة إلى الحصار الذي فرضه الأميران على السلطان في القلعة عام 706هـ/1306م أي قبل عام تقريبا، وغير ذلك من الأفعال، التي دفعت السلطان لترك الديار المصرية والإقامة بالكرك(3)، يرجح أن السلطان خشي من قيام الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير سلار بالتخلص منه بتدبير مكيدة لقتله، أو سجنه لذلك فضل التنازل عن الحكم والتوجه للكرك والإقامة فيها.

عندما وصل الأمراء إلى مصر، وأخبروا من بها بإقامة السلطان بالكرك، وتنازله عن الحكم للأسباب السابق ذكرها، تشاور الأمراء فيما بينهم، واتفقوا على أن تكون السلطنة لبيبرس الجاشنكير، وأن يكون سلار مستمراً على نيابة السلطنة كما كان عليه، وحلفوا على ذلك، حيث رفض الأمير سلار الجلوس على كرسي السلطة، فإنه كان يعلم خطورة الأمر وأن الأمور لم تثبت بعد، فنصح باختيار الأمير بيبرس الجاشنكير،– واليوم نري الكثير من القادة لبعض الثورات ومدبري الانقلابات، يرفضون تولي المهام بعد الأحداث مباشرة، بل يتم تعين شخص لفترة انتقالية، للتحقق من نتائج الثورة أو الانقلاب، والتعرف على ردة الفعل في البلاد–، وخرج بيبرس الجاشنكير

---

(1) قلعة الكرك من أهم واحصن القلاع في جنوب غرب بلاد الشام، تقع بين منطقة آيلة والقدس والبحر الأحمر، وهي تقع على جبل محاط بالأودية من ثلاث جهات، مما جعلها من أقوى القلاع في بلاد الشام، الحموي ، معجم البلدان (ج 4 / 453).

(2) جمال الدين الأشرف كان نائب الكرك، ثم عينه السلطان الناصر محمد بن قلاوون نيابة دمشق بعد أن حضر إلى الكرك للإقامة بها تاركاً مصر، وكان من أقوى وأغنى الأمراء المماليك، الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر (ص579).

(3)النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج32 / 103)؛ الذهبي ، من ذيول العبر (ج1 / 41)، المقريزي: السلوك (ج2/ 497).

من داره بشعار السلطنة إلى قلعة الجبل، وجلس على العرش في يوم السبت الثالث والعشرين من شوال سنة 708هـ/1308م، وتلقب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس المنصوري، وأرسل إلى نواب السلطنة بالشام فحلفوا له جميعاً، بعد ان تأكد من تنازل السلطان الناصر محمد بن قلاوون عن الحكم، وكتب تقليداً للسلطان الناصر محمد بن قلاوون بالكرك، واستمر ذلك الوضع حتى نهاية عام 708هـ/1308م(1)، لكن ما خشي منه الأمير سلار حدث، وتغيرت أحوال الكرك لصالح الناصر محمد بن قلاوون.

في بداية عام 709هـ/1309م، أعلن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، خروجه على بيبرس الجاشنكير لأسباب سنذكرها عند ذكر ثورته في بلاد الشام بالتفصيل، ترك الكثير من الأمراء بيبرس الجاشنكير وتوجهوا إلى الناصر محمد بن قلاوون، وبدأ أمر الجاشنكير يضعف، وهذا انعكس على البلاد التي دخلت في فتنة كبيرة، وكانت معظم فئات الشعب تميل إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقد رأينا ذلك في الثورة الأولى عام 707هـ/1307م، وأعلن الكثير من العامة تأييدهم للناصر محمد بن قلاوون، وخرجوا في الشوارع، وتجمعت أعدادٌ كبيرة من الناس حول القلعة، واشتعلت ثورة شعبية ضد السلطان الجديد بيبرس الجاشنكير(2)، هاتفين ضد السلطان الجديد وأتباعه، وطالبوا بعودة الناصر محمد بن قلاوون إلى الحكم، حاول السلطان بيبرس الجاشنكير التعامل مع هذه الثورة من بدايتها، لكنه فشل، بسبب إصرار الشعب على مطالبه، وأثناء هذه الثورة كانت بلاد الشام قد خرجت عن سيطرته، وأصبحت تحت سيطرة الناصر محمد بن قلاوون، الذي توجه بجيشٍ كبير نحو مصر، فأدرك السلطان بيبرس الجاشنكير إنتهاء أمره، وبدأ يفكر في ملجأ يأوي إليه، وذلك عن طريق التفاوض مع الناصر محمد لكنه كان يخشى غدره، فقرر التوجه إلى الصعيد قبل وصول جيش بلاد الشام، وأمر مماليكه بحمل ما استطاعوا من سلاح وأموال، والتي كانت تملأ خزائن القلعة، لكنه تفاجأ بأعداد كبيرة من الشعب على أبواب القلعة، فنثر الكثير من الأموال لإشغالهم ثم هرب باتجاه الصعيد(3) .

يمكن القول بأن الثورة الشعبية في مصر، كانت أهم الأسباب التي ساعدت الناصر محمد بن قلاوون في العودة إلى الحكم مرة أخرى، حيث وصل مصر فوجد أبواب القلعة مفتوحة له، فلم

---

(1) المقريزي، السلوك (ج2/ 497)؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج 32 / 104).

(2) المقريزي، السلوك (ج2/ 497).

(3) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج 32 / 104)؛ المقريزي: السلوك (ج2/ 497).

يتوقع أحد إلى أين ستؤول الأمور لو كان أمر مصر في يد بيبرس الجاشنكير، وما هو موقف الأمراء من الصدام بين الطرفين، وسبب اجتماع الكثير من الأمراء والمماليك حول الناصر محمد بن قلاوون، وكان الضغط الشعبي ليس في مصر فقط، بل في بلاد الشام ايضاً خاصة في دمشق مركز الحكم في بلاد الشام، حيث خرجت أعداد كبيرة من الدمشقيين في الشوارع تأييداً للناصر محمد بن قلاوون قبل توجه الجيش معه إلى مصر.

3- ثورة العامة (الحرافيش) بالتحالف مع الأمير أيدغمش ضد الأمير قوصون في عهد السلطان الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد (742 هـ/1341م):

كما جرت العادة في مصر في ظل حكم دولة المماليك، فالسلاطين الضعاف وصغار السن، لا يملكون من الحكم شيء، وكان كبار أمراء المماليك وأصحاب المناصب العسكرية الكبيرة، خاصة نائب السلطان المقيم في القلعة – وهي مركز الحكم في البلاد– وقادة الجيش من الأمراء، يتحكمون في البلاد ويسيطرون على الحكم، ويصدرون القرارات كبيرها وصغيرها دون الرجوع للسلطان، وكانوا في صراع دائم فيما بينهم للسيطرة على الحكم، وكان الأمراء يستعينون بمماليكهم لتحقيق السيطرة، وأحياناً بالعامة، كما فعل الأمير أيدغمش[1] عندما استبد الأمير قوصون[2] بالحكم وحاول السيطرة على السلطة، زمن السلطان الأشرف علاء الدين كجك[3] عام 742هـ/1341م[4]، وحاول خلع السلطان وتنصيب نفسه[5].

جمع الأمير أيدغمش عدداً كبيراً من مماليك السلطان، وأجناد الأمراء وغيرهم من المسئولين،

(1) علاء الدين أيدغمش أمير أخور الناصري، اشترك مع الأمير قوصون في الخروج على السلطان ثم انقلب ضده بعد ذلك، وأصبح نائب حلب، وفي عهد السلطان الصالح أصبح نائب الشام عام 743هـ/ 1342م، عرف عنه الكرم الكبير، توفي في دمشق، الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر (ج 1 / ص654).

(2) الأمير الكبير النائب سيف الدين قوصون الساقي الناصري، من كبار الأمراء المماليك، حاول خلع السلطان أبي بكر لكنه فشل بسبب غدر حلفاءه، كان يملك الكثير من الأموال والمماليك والإقطاعات، تم إعدامه في سجن الإسكندرية عام 742هـ/1341م ، الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر (ج 4 / ص137).

(3) الأشرف علاء الدين ابن السلطان الناصر ابن السلطان المنصور، أصبح السلطان بعد أن خلع الأمير قوصون السلطان المنصور أبو بكر، وكان في الخمسة من عمره، عام 742هـ/1341م، ثم خلع على يد الناصر، وتوفى عام 746هـ/1345م، الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر (ج 4 / ص149).

(4) المقريزي، السلوك (ج3/ 349–352).

(5) الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر (ج 4 / 137).

وأعداداً كبيرةً جداً من العامة، حيث وصفهم المقريزي فقال:" وأقبلت العامة كالجراد المنتشر[1]"، دلالة على تلك الأعداد، ونتساءل هل يمكن جمع هذه الأعداد من الناس لتحقيق مصلحة لأحد الأمراء وكيف تطيعهم بعض العامة؟، والإجابة مما نراه اليوم من كيفية جمع الناس لصالح الطغاة بوعود كاذبة وبعض الطرود الغذائية (الكابونات)، ونحن في القرن الحادي والعشرين، فكيف في تلك الأوقات عندما يوعدون بالأموال، وأمر أيدغمش بالسلاح لمن لا يملك سلاحاً، وسمح للعامة بنهب إسطبل قوصون وقصره وأملاكه بعد حصاره من قبل قوات السلطان التي يسيطر عليها الأمير قوصون، فقامت بعض فئات من العامة بأعمال النهب والتخريب، تحت حماية قوات المماليك بتوجيه من الأمير أيدغمش، وطالت هذه الأعمال جميع من كان على صلة بالأمير قوصون، بمن فيهم قاضي القضاة حسام الدين الغوري الحنفي[2]، الذي اتُّهم بتعاطي الحشيش وفعل المنكرات، وهذا غير مؤكد والراجح أنها وشايات كيدية بسبب مواقفه السياسية، والله تعالى أعلم، كما شملت عملية النهب أملاك حاشية قوصون ومماليكه، بل أصبح من يراد مصادرة أمواله يتهم بتأييده للأمير قوصون، كما يتهم الكثير اليوم (بالإرهاب)، وانتشرت الفوضى في الطرقات، وقام البعض بأعمال نهب وحرق وتخريب، حتي ضجر الكثير من الناس، وانتقد أمراء المماليك الأمير أيدغمش، واتهموه بتقوية العامة على الأمراء، مما نتج عن ذلك نقص هيبتهم، وتجرؤ بعض فئات الشعب عليهم، وتعرض أملاكهم للسرقة والنهب والتدمير[3].

بناءً على ما سبق يمكن القول، أن الأمير أيدغمش استطاع السيطرة على الحكم في مصر، باستخدام بعض فئات الشعب، وبعض الأمراء ضد قوصون، وبمساعدة مماليك السلطان علاء الدين كجك، الذي لم يكن في يده سلطة فعلية، ولا يملك قراراً سياسياً، عندما كان قوصون نائب السلطنة، وبعد سقوط قوصون، حيث خلع من الحكم على يد الأمير ايدغمش[4]، الذي استولى على الحكم، فاستبدل أمير مستبد متسلط، بأمير آخر أشد تسلطاً، فما أشبه الأمس باليوم، وما يحدث في

---

(1) المقريزي، السلوك (3ج/ 352).

(2) الحسن بن محمد بن محمد قاضي القضاة في مصر حسام الدين الحنفي، أصله من منطقة الغور في خرسان، وقد جاء إلى مصر بعد الاضطرابات التي حدثة في تلك المنطقة ذلك الوقت، ابو الفداء القرشي ، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية (ج2 / 332).

(3) المقريزي، السلوك (ج3/ 352 – 356).

(4) المقريزي، المصدر نفسه (ج3/ 355 – 357).

ثورات الربيع العربي في وقتنا الحاضر والصراع على الحكم، ونرى كيف يستغل الكثير ثورات الشعوب لتحقيق المصالح والأهداف الشخصية والفئوية والحزبية، دون مراعاة مصالح الشعب ومطالبه التي خرج بسببها وأعلن الثورة، وهذا أدى إلى فشل الكثير من الثورات، واستبدل الحاكم المستبد الظالم بأخر أكثر استبداداً وظلماً.

ثانياً_ الثورات الشعبية ضد نظام الحكم (الحكام الشرعيين):

منذ اللحظة الأولى لنشأة دولة المماليك[1]، بدأت بعض الفئات والمناطق بالقيام بثورات على حكمهم، بصفتهم من الجنس التركي، لا من العرب الذين يعتقدون أنهم أحق بالسلطة منهم، ولأنهم كانوا من الرقيق في الدولة الأيوبية قبل فترة قليلة.

1_ ثورة الأعراب في الصعيد بقيادة حصن الدين بن ثعلب ضد السلطان المعز أيبك (652 هـ / 1254م):

بعد سقوط دولة الأيوبيين، وسيطرة المماليك على الحكم في مصر، استغل العربان في صعيد مصر انشغال المماليك بحرب الصليبيين، واختلافهم مع الملك الناصر، وأعلنوا التمرد على نظام الحكم، فخرجت ثورة في معظم مناطق الصعيد بقيادة حصن الدين بن ثعلب[2]، وسيطروا على الطرق البرية والبحرية، فتوقفت التجارة، وجمعوا الضرائب من الناس، وطردوا الموظفين التابعين للدولة فضعف الأمن، وانتشرت أعمال النهب والسلب في معظم مناطق الصعيد، وأعلن العرب أنهم أحق بالحكم من المماليك[3]، وأرسلوا إلى الملك الناصر يوسف الأيوبي صاحب دمشق يطلبون منه القدوم إلى مصر[4]، ولم يكن لحصن الدين بن ثعلب سيطرة كاملة على أتباعه رغم تجمعهم

---

(1) للتعرف على حدود الدولة المملوكية عند قيامها انظر ملحق (4).

(2) حصن الدين بن ثعلب من كبار أمراء العربان في صعيد مصر اجتمع حوله العربان ضد دولة المماليك زمن السلطان المعز ايبك عام 652هـ/1254م، تم القبض عليه زمن الظاهر بيبرس وتم اعدامه في الاسكندرية عام 663هـ/1265م، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج 29 / 275، 276).

(3) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج29 / 275، 276)؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون (ج5 / 432)، الغيتابي، عقد الجمان في تاريخ الزمان (ج 1 / 40).

(4) المقريزي، السلوك (ج1/ 480).

حوله[1]. وقد يكون سبب ذلك اختلاف الأهداف التي خرج من أجلها هؤلاء، وعدم تشكيل قيادة للثورة يتم من خلالها تسييرها إلى أهدافها المعلنة، وفق خطط مدروسة مع الحفاظ على أملاك الناس، وإلا ستكون فوضى تحارب من الناس قبل الخصوم.

بعد انتشار الثورة في جميع مناطق الصعيد، اجتمع حول حصن الدين أعداد كبيرة من الرجال، "وأتوه من أقصى الصعيد وأطراف بلاد البحيرة والجيزة والفيوم وحلفوا له كلهم. فبلغ عدد الفرسان اثني عشر ألف فارس وتجاوزت، عدة الرجالة الإحصاء لكثرتهم"[2]، وهذا يدلل على الأعداد الكبيرة التي اجتمعت مع حصن الدين بن ثعلب. ويتضح لنا أن المماليك فقدوا سيطرتهم على منطقة الصعيد المهمة بشكل كامل، وهذا يمثل خطراً كبيراً على نظام الحكم الجديد في مصر، مما استوجب حلاً سريعاً لهذه الثورة، وهذا ما حدث بعد انتهاء الخلاف بين المماليك في مصر والملك الناصر في الشام بعقد الصلح، جهز السلطان المعز أيبك [3]قوة عسكرية للقضاء على هذه الثورة وعودة الصعيد للحكم المركزي في القاهرة[4]، ومنع بذلك انفصال الصعيد واستقلاله عن الحكم المركزي، ولو نجحت هذه الثورة، لكانت سبباً في القضاء على الدولة المملوكية قبل أن تنشأ، وهذا يوضح لنا الظروف التي نشأت فيها دولة المماليك ومدى الأخطار الداخلية التي واجهتها من البداية.

2_ ثورة الكوراني الشيعي ضد السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري (658هـ/ 1260م):

خطط لهذه الثورة شخص شيعي باطني غامض عرف بالكوراني، وهو فارسي الأصل من نيسابور[5]، تظاهر بالزهد والورع والتصوف، بل كان يحمل معظم الوقت مسبحة، لخداع السذج والجهلاء، كعادة دعوات الباطنية، قبض عليه لنشره البدع بين العامة عام657هـ/1259م، وضرب

---

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج 29 / 275، 275).

(2) المقريزي، السلوك (ج1/ 479 ، 480).

(3) أيبك بن عبد الله الصالحي السلطان المعز عز الدين المعروف بالتركماني كان في بداية مملوكاً للسلطان الصالح نجم الدين الأيوبي ثم أصبح سلطان مصر وكان أول السلاطين المماليك، قتل على يد زوجته شجرة الدر عام 655هـ/1257م، اليونيني ، ذيل مرآة الزمان (ج1 / 21، 22).

(4) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج 29 / 275، 275).

(5) القيسي، توضيح المشتبة (ج 7/ 340).

ضرباً مبرحاً، ثم أعلن توبته على يد الشيخ عز الدين بن عبد السلام[1]، وأطلق سراحه وأقام بمنطقة الجبل الأحمر، وبدأ بنشر أفكاره الباطلة مرة أخرى من خارج القاهرة[2]، بعيداً عن أعين علماء الدين وأولي الأمر وموظفي الدولة، وقت انشغالهم بخطر المغول، الذين اجتاحوا العراق والشام وتوجهوا لمصر، ويرجح أيضاً أنه اختار هذا المكان ليكون قريباً من الناس للعمل على إقناعهم بأفكاره، لاستقطابهم وجمعهم لتحقيق هدفه.

واجتمع حوله عدد من الغلمان والعامة وجماعة من السودان، بجانب الباطنيين وأصحاب الفكر الشيعي، أخذ يحرضهم على أهل السنة، ويشوه أفكارهم بالشائعات حول حرب أهل السنة لآل البيت، وذكر أمجاد الدولة الفاطمية الشيعية، وكيف أسقطها صلاح الدين الايوبي، "وأقطعهم الإقطاعات وكتب لهم بها رقاعاً"[3]، وطلب من أتباعه إعلان العصيان المدني، والخروج في الشوارع ليلاً، والهجوم على مخازن السلاح والاسطبلات وأخذ ما فيها من الأموال والسلاح والخيل[4].

وفي عام 658هـ/1259م ثار أتباعه وخرجوا في شوارع القاهرة، وهم ينادون يا آل علي، "وفتحوا دكاكين السيوفيين بين القصرين وأخذوا ما فيها من السلاح واقتحموا اسطبلات الأجناد وأخذوا منها الخيول"[5]، وبدأ التمرد على نظام الحكم السني الذي تمثله دولة المماليك في ذلك العصر، وشكلت هذه الثورة منذ بدايتها خطراً كبيراً لنشرها الفوضى في الشوارع والأسواق، فكان التدخل السريع للسيطرة على هذه الفتنة بقوة وحكمة السلطان الظاهر بيبرس البندقداري[6]، لمنعها من الانتقال إلى فئات أخرى من الشعب، أو أن يستغلها بعض الطامعين في السلطة والزعر

---

(1) الشيخ عز الدين بن عبد السلام عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن الشافعي شيخ الإسلام المعروف، ولد سنة 578هـ/1182م وتوفي سنة 660هـ/1262، الكتيبي ، فوات الوفيات (ج1 / 682)؛ الصقاعي، تالي كتاب وفيات الاعيان (ص 95).

(2) المقريزي، السلوك (ج1/ 509).

(3) المقريزي، السلوك (ج1/ 509).

(4) الغيتابي ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ج 1 / 67).

(5) المقريزي، السلوك (ج1/ 522).

(6) السلطان ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي النجمي، شارك إلى جانب السلطان قطز في معركة عين جالوت ضد المغول، بعد مقتل قطز أصبح سلطان البلاد، وكان له دور كبير في تطهير بلاد الشام من الصليبيين، توفي عام 676هـ/1277م، الصقاعي، تالي كتاب وفيات الأعيان ، (ص52).

والخارجين على القانون، فتم القضاء عليها قبل انتشارها.

من خلال ما سبق، يتبين أن السلطان الظاهر بيبرس، كان يركز أثناء قمعه لثورة الكوراني على حماية المذهب السني، قبل تركيزه على إخماد الثورة، والمدقق في تاريخ الثورات في العصر المملوكي، يرى أن ثورة الكوراني أخطر الثورات في هذا العصر، لأنها تمس العقيدة، ولا تحارب النظام فقط، بل تنشر المذهب والفكر الشيعي بين الناس.

3_ ثـورة العامـة (الحـرافيش) ضـد والـي القـاهرة الأميـر الشـريف بكتمـر عـام (770هـ/1369م):

كان بعض الولاة يتعاملون مع العامة بقسوة كبيرة، أدت إلى مقتل العديد منهم، كما فعل والي القاهرة الشريف بكتمر[1] عام 770هـ/1369م، الذي تولى القاهرة بعد الأمير علاء الدين على بن الكوراني[2]، من ضرب لبعض الناس بالمقارع مما تسبب في مقتل أحدهم، فدفع ذلك الكثير من الناس للتوجه إلى القلعة والاحتجاج ضد الوالي وبعض كبار الموظفين، فأجيبوا بأن السلطان سيقوم بعزل الوالي، ولكنهم رفضوا ذلك، وطالبوا بتسليم الوالي والحاجبين، وعندما جاء الوالي إلى القلعة، هاجموه ورجموه، وكاد أن يقتل، إلا أنه احتمى بالإسطبل حتى عصر ذلك اليوم، كما هاجموا قواته التي لم تستطع السيطرة عليهم، مما أدى إلى تدخل المماليك السلطانية (الجيش) وأجبروا الناس على العودة إلى بيوتهم[3].

---

(1) بكتمر تولى العديد من المناصب في مصر منها ولاية القاهرة والاسكندرية والجيزة والبحيرة وكان من أقوى النواب المماليك، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 11 / 25 – 30).

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 11 / 25).

(3) المقريزي، السلوك (ج4/ 327، 328).

المبحث الثاني: ثورات الأمراء والولاة زمن دولة المماليك البحرية:

تمهيد:

بدأ الصراع بين كبار الأمراء المماليك على الحكم منذ بداية تأسيس دولتهم حتي نهايتها[1]، وكان الصراع بينهم من أبرز سمات دولة المماليك الأولى البحرية والثانية البرجية، ولم يتردد بعضهم في قتل البعض الآخر والذين شاركوهم في كثير من المواقف والمواقع ضد الأعداء، في سبيل الوصول إلى الحكم، أو منصب سياسي أو عسكري أكبر ومهم في الدولة.

أولاً _ ثورات الأمراء والولاة في مصر:

كانت مصر مركز الحكم لدولة المماليك البحرية والبرجية، لهذا كان السلاطين والأمراء الكبار يهتمون بها كثيراً، ويحرصون على البقاء فيها معظم الوقت، والخروج منها يكون نادراً، إما خوفاً من انقلاب أو ثورة على السلطان، فكانت مصر مسرحاً للكثير من الأحداث السياسية والعسكرية طوال فترة حكم المماليك.

1 _ ثورة الأمير عز الدين أيبك الأفرم في الصعيد ضد السلطان المعز أيبك (653هـ / 1255م):

بعد القضاء على ثورة العربان في الصعيد، على يد الأمير فارس الدين أقطاي[2] والأمير عز الدين أيبك الأفرم[3]، بقي الأخير في الصعيد، لتوطيد الأمن وإحكام السيطرة على البلاد، خاصة وأن حصن الدين بن ثعلب مازال حراً[4]، وعندما قتل الأمير فارس الدين أقطاي واتهم السلطان

---

(1) الشرقاوي، مديحة، برسباي وسياستاهُ الداخلية والخارجية (ص7)

(2) الأمير فارس الدين اقطاي احد كبار الأمراء المماليك في مصر قتل عام 657هـ/1259م ، الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان (ص10)؛ ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون (ج 5 / 434).

(3) الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي ، كان من كبار الأمراء وكان أمير جاندار ، قام ببناء بعض المدارس والمساجد، شارك في القضاء على العديد من الثورات في النوبة وبلاد الشام بعد الصلح مع السلطان، توفى في مصر عام 695هـ/1296م، النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج 31 / 282).

(4) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج 29 / 282).

المعز أيبك بذلك، أعلن الأمير الأفرم العصيان عام 653هـ / 1255م[1]، واستولى على معظم مناطق الصعيد، وامتنع عن ارسال الضرائب لبيت المال، وجمعها لنفسه، وتحالف مع حصن الدين بن ثعلب، وجمعوا العربان حولهم[2]. وبالتأكيد فإنْ هذا الوضع يشكل خطراً كبيراً على الدولة الناشئة، والتي تهددها الكثير من الأخطار الخارجية، فالصليبيون ما زالوا في بلاد الشام، والمغول على مشارفها، وهذا الوضع لا يحتمل فوضى وفتن داخلية، لذلك وجب التدخل السريع للقضاء على هذه الفتنة، وذلك ما تم بالفعل.

أرسل السلطان قوة كبيرة من الجيش المملوكي، بقيادة شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي[3]، الذي وصل إلى الصعيد واستطاع القبض على حصن الدين وإحضاره للقاهرة، ثم إلى الاسكندرية، وسجن في قلعة الجبل، أما الأمير عز الدين الأفرم، فقد استطاع الهرب إلى الشام، وعمل في خدمة السلطان الملك الناصر يوسف[4].

2_ ثورة أمراء من المماليك ضد السلطان السعيد بركة بن السلطان الظاهر بيبرس عام (678هـ / 1279م):

بعد وفاة السلطان الظاهر بيبرس البندقداري[5]، تولى الحكم ابنه السلطان السعيد ناصر الدين

---

(1) النويري، المرجع نفسه (ج 29/ 282).

(2) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون (ج 5 / 434)؛ المقريزي، السلوك (ج1 / 487)؛ العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ج1 / 23).

(3) القاضي شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزي، كان كاتباً في دولة المماليك، تولى الديوان في دمشق ثم عاد الى مصر وتولى الوزارة فيها اثناء حكم المعز التركماني، بعد مقتل شجرة الدر اعترض على ذلك، فتم قتله عام 656هـ/1258م، الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان (ص 162,163).

(4) السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن السلطان العزيز محمد بن السلطان الظاهر غازي بن السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، اشتبك مع المماليك البحرية، ووقعت بينهم عدة معارك إلى أن تصالح الطرفين، ثم دخل المغول البلاد وأسر ملك دمشق وحلب السلطان الناصر يوسف، وقتله المغول بعد هزيمتهم في معركة عين جالوت، الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان (ص168).

(5) السلطان الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي النجمي، أقوى سلاطين المماليك، كان شهماً شجاعاً، شارك في معركة عين جالوت إلى جانب السلطان المظفر قطز، وبعد قتل قطز عام 658هـ/1260م اصبح السلطان، وقد حارب الصليبيين وكان له دور كبير في تطهير بلاد الشام، توفى في مصر عام 676هـ/1277م ، الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان (ص49 – 51).

بركة[1]، أثناء تواجده في بلاد الشام، وقد بدأ حكمه بإبعاد الكثير من أمراء المماليك الكبار[2]، وعزلهم من مناصبهم، قبل أن يتمكن من مفاصل الدولة والحكم، ولا شك أن هذا يعبر عن جهل وضعف في الإدارة والحكم لدى السعيد بركة، فقد أغضب هذا التصرف أمراء المماليك الكبار ودفعهم للعمل من أجل التخلص منه في أسرع وقت، مستغلين وجود السلطان في بلاد الشام خارج مصر التي تعتبر مركز الحكم، وعزموا على خلعه من السلطة، فحاصروا القلعة، لمنعه من دخولها عند عودته من بلاد الشام، عندما علم السلطان السعيد بركة بهذه المؤامرة، جمع القوات الشامية والقوات المصرية التي كانت متواجدة في ذلك الوقت في دمشق، وانضم إليه من الأمراء الكبار، شمس الدين سنقور الأشقر العلائي[3]، والأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير[4] وغيرهما[5]، واستدعى بعض العربان، وأنفق أموالاً لجلب أتباع جدد، لزيادة أعداد قواته، وسار إلى مصر، وعند وصوله إلى غزة تسلل هرباً أكثر العربان، وتفرقوا وتركوا الجيش قبل دخول الأراضي المصرية، وصل مدينة بلبيس ما معه من العسكر الشامي إلا اليسير، فطلب منهم العودة للشام لأنهم لن يجدوا نفعاً، وتوجه السلطان إلى قلعة الجبل في القاهرة، واستطاع مع بعض الأمراء ومماليكه دخولها بعد قتال يسير[6]، رغم حصار الأمراء المتواجدين في مصر لها، وبعد دخوله شددوا الحصار عليه، فأخذ الأمراء حوله بالتسلل عنه، والاصطفاف إلى جانب الأمراء المحاصرين[7]بسبب شدة الحصار وضعف موقفه، واستمر هذا الحال أسبوعين، وانتهى بعزل

---

(1) السلطان السعيد بركة ابن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي، تولى الحكم بعد وفاة ابيه عام 676هـ/1277م، ودخل في صراع مع الامراء، الذين عزلوه عن الحكم، وتوفى عام 678هـ/1279م في الكرك بعد أن وقع عن الفرس وأصابته حمة شديدة، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (ج 1 / 466 – 470).

(2) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (ج 1 / 7 – 9).

(3) شمس الدين سنقر الأشقر الصالحي النجمي كان من كبار الأمراء المماليك كان ممن وقفوا إلى جانب السلطان الناصر يوسف ضد المعز التركماني، وشارك في العديد من المعارك بين الطرفين ، توفى عام 692هـ/1293م، الصقاعي : تالي كتاب وفيات الأعيان ، (ص85 ، 86).

(4) الأمير علم الدين سنجر الحلبي الكبير كان من مقدمي الألوف وكان مقرب من السلطان، له منزلة كبيرة في الدولة المملوكية، وكان نائب في عدة مناطق كان أخرها دمشق، وكان أتابك عسكر، سجنه الظاهر بيبرس مدة طويلة، ثم خرج زمن قلاوون وتوفى في دمشق، الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر (ج2 / 465)؛ الصفدي: الشعور بالعور (ج141/1)، الدمشقي، إعلام الوردي(ص32).

(5) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (ج 1 / 7 – 9)؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان (ج4/ 156).

(6) أبن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان (ج 4/ 156).

(7) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (ج 1 / 9).

السلطان السعيد محمد بركة بن بيبرس الذي توجه إلى الكرك[1]، وجلس أخوه السلطان العادل سيف الدين سلامش[2] صغير السن الذي لا يستطيع إدارة البلاد على العرش، وأصبح الأمر بيد الأمراء وعلى رأسهم الأمير قلاوون[3].

3_ سيطرة الأمير قلاوون على الحكم وعزل السلطان سُلامش بن الظاهر بيبرس عام (673هـ/1274م):

بعد عزل السلطان السعيد محمد بركة بن بيبرس، اجتمع رأي الأمراء الكبار على أن يصبح أخوه سيف الدين سلامش ابن الثامنة سلطاناً للبلاد، وعين الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي[4] أتابك العساكر[5]، وقد عرض على الأمير قلاوون الحكم فرفض، وقال: ما عزلنا السلطان طمعاً في الملك[6]. ويبدو أن رفض الأمير قلاوون الحكم لم يكن تعففاً ولا كرهاً للسلطة، وإنما الأوضاع الأمنية والأحوال في البلاد غير المستقرة، فيرجح أنه كان ينتظر الوقت المناسب للانقضاض على الحكم، وهذا ما حدث لاحقاً .

ففي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر رجب، اجتمع الأمراء والأعيان بقلعة الجبل في القاهرة، وخلعوا السلطان سلامش بن الملك الظاهر من السلطنة، وعين مكانه الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي ولقب بالملك المنصور، وحلفوا له بأسرهم، ولم يكن للسلطان سلامش في

---

(1) النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج 30 / 247 – 251).

(2) سيف الدين سلامش الظاهري أصبح سلطان في مصر بعد عزل أخه السعيد بركة، وكان صغير السن ولقب بالملك العادل، ثم عزل واستقل قلاوون بالحكم، وأرسله إلى الكرك عند أخيه السعيد بركة مع باقي عائلته، ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء الزمان (ج4 / 158).

(3) الحلبي، الأعلاق الخطيرة (ج1/ 88)؛ العليمي، الأنس الجليل (ج88/2)؛ أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (ج 1 / 469)؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي (ج 2 / 220)؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا (ج 3 / 499)؛ القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة (ج 2 / 124).

(4) السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي المعروف بالألفي، كان من كبار الأمراء الصالحية، أصبح الرجل الأول في البلاد بعد عزل السلطان السعيد بركة، وتقليد أخيه سيف الدين سلامش، وجلس على العرش عام 678هـ/ 1279م بعد عزل السلطان سلامش، وتوفى عام 689هـ/1290م، الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان (ص130 ، 131).

(5) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (ج 1 / 469)؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي (ج 2 / 220)؛ القلقشندي، صبح الأعشى (ج 3 / 499)؛ القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة (ج 2 / 124).

(6) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان (ج 4 / 158) ؛ ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر (ج9/1)؛ اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج 4 / 189).

مدة سلطنته التي استمرت أربعة أشهر فقط غير الاسم[1]، ومن أسباب عدم تولي الأمير قلاوون الحكم من البداية، خوفه من ثورة المماليك الظاهرية، لأنهم كانوا يشكلون معظم العسكر في مصر، وأيضاً كانت بعض القلاع تحت حكم نواب الملك السعيد[2]، وهذا يشكل خطر عليه في بلاد الشام الجناح الثاني للدولة، فأراد تغيرهم بأمراء موالين له ويثق بهم، فلما سيطر على مفاصل الحكم وأمسك بجميع الخيوط داخل مصر وخارجها، خلعه وأصبح سلطاناً[3]، واتفق معظم الأمراء في مصر على تقليد الأمير قلاوون ولم يختلف عليه أحد في القصر[4].

كانت مدة حكم السلطان سلامش فترة ، من حكم الأسرة الظاهرية إلى حكم أسرة قلاوون، وهم يمثلون نفس النظام رغم اختلاف الأشخاص، وقد كان قلاوون يحتاج تلك الفترة من أجل التمكن من أركان الحكم، واختبار ردة فعل الأمراء المماليك خاصة الظاهرية، فإن كانت قوية وتشكل خطراً كان أميراً من الأمراء وتوزعت المسئولية، وإن كان المتوقع وانقادوا واستسلموا أصبح السلطان، وهذا الأسلوب طبق في كثير من الأوقات حتى اليوم نجد من يسير على نفس المنهج وإن اختلف الزمن والأشخاص.

ثانياً _ ثورات الأمراء والولاة في بلاد الشام:

بعض الأمراء كانوا طامعين في الحكم أو غير راضين عن السلطان الجديد، لأسباب كثيرة منها: طريقة وصوله للسلطة، وعزله أو قتله السلطان السابق، وأعلنوا العصيان والتمرد في بلاد الشام، مستغلين بعدها عن مركز الحكم في مصر، واعتماد الحكام على النواب في حكمها، وحاولوا الوصول إلى السلطة، انطلاقاً منها، أو الاستقلال بها عن مصر، مستغلين صراع الأمراء واختلافهم في مصر على النفوذ السياسي والعسكري والمناصب، وعدم توحدهم وراء السلطان الجديد.

---

(1) القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة (ج 2 / 124)؛ ابن تغري بردي، مرد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة (ج 2 / 37).

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 7 / 288).

(3) اليونبني ، ذيل مرآة الزمان (ج9/2)؛ الكتبي ، فوات الوفيات (ج 2 / 225)؛ ابو الفداء ، البداية والنهاية (ج 13 / 287 – 289).

(4) الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير (ج 50 / 40)؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر (ج 5 / 318).

1_ ثـورة الأميـر علـم الـدين سـنجر الحلبـي فـي دمشـق ضـد الظـاهر بيبـرس (658هـ / 1260م):

بعد انتصار المسلمين على المغول في معركة عين جالوت عام 658هـ / 1260م، بقيادة المماليك وعلى رأسهم السلطان المظفر قطز[1]، عين الأخير على دمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي[2]، وفي أثناء عودة السلطان المظفر قطز من بلاد الشام إلى مصر، قتل على يد مجموعة من المماليك، وأصبح الظاهر بيبرس سلطان البلاد، وبعث إلى النيابات يطلب من النواب الطاعة امتنع الأمير علم الدين سنجر الحلبي نائب دمشق عن ذلك[3]، وجمع من كان عنده من الأمراء الذين عينهم معه الملك المظفر قطز، وأعيان دمشق من ذوي الحل والعقد وألزمهم بالحلف له على أن يكونوا في طاعته، فأجابه بعض الأمراء ظاهراً[4]، ثم طلب من أهل دمشق مبايعته على السلطنة، فأجابوه ولقب نفسه الملك المجاهد[5]، استقر له الوضع في دمشق، مؤقتاً كما تبين لاحقاً، بعد ذلك أرسل إلى النواب في بلاد الشام يطلب منهم الطاعة، منهم من أجاب ومنهم من رفض، وأخذ يستميل البعض بالأساليب السياسية ويرغبهم في طاعته[6]، ويبدو أنه فشل في ذلك لأنه وعندما التقي مع جيش الظاهر بيبرس لم يقف معه أحد من الأمراء أو النواب، ثم جعل السكة

---

(1) السلطان المظفر سيف الدين قطز المعزي، كان من كبار مماليك السلطان المعز أيبك التركماني، أصبح المظفر قطز سلطان البلاد بعد مقتل استاذه عام 658هـ/ 1260م، استطاع قيادة المماليك في معركة عين جالوت وتحقيق النصر على المغول، قتل على يد بعض المماليك أثناء عودته بعد المعركة إلى مصر، الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الاعيان (ص129).

(2) الحلبي، الأعلاق الخطيرة (ج1 / 70)، اليونيني ، ذيل مرأة الزمان (ج 1 / 142)؛ ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر (ج 1 / 459)؛ النويري ، نهاية الأرب (ج 30 / 20)؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (ج 48 / 73)؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي (ج 2 / 205)؛ ابو الفداء ، البداية والنهاية (ج13 / 223)؛ المقريزي ، السلوك لمعرفة الملوك (ج 1 / 521)؛ العيني ، عقد الجمان في اهل الزمان (ج 1 / 74).

(3) الحلبي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (ج1 / 70)؛ اليونيني ، ذيل مرأة الزمان (ج142/1)، ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر (ج 1 / 459)؛ النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب (ج30/ 20)؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (ج 48 / 73)؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي (ج 2 / 205)؛ ابو الفداء ، البداية والنهاية (ج13 / 223)؛ المقريزي ، السلوك لمعرفة الملوك (ج 1 / 521)؛ العيني، عقد الجمان في أهل الزمان (ج 1 / 74).

(4) اليونيني ، ذيل مرأة الزمان (ج 1 / 142).

(5) الحلبي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (ج1 / 70).

(6) اليونيني ، ذيل مرأة الزمان (ج 1 / 142).

والخطبة باسمه في دمشق[1].

استطاع الأمير علم الدين سنجر الاستقلال ببلاد الشام عن مركز الحكم في مصر، وهذا يشكل خطراً كبيراً على وحدة المسلمين، ويعيد فصل الشام عن مصر ومن المؤكد أن ذلك سيضعف الدولة الاسلامية، ويمثل أيضاً خطراً على حكم السلطان الجديد الظاهر بيبرس، فكان لزاماً على الظاهر بيبرس التخلص من هذه الفتنة، خاصة أن خطر المغول مازال موجوداً ويمكن أن يتجدد الصراع معهم في أي وقت، والصليبيون ما زالوا موجودين في بلاد الشام ويسعون ليلاً ونهاراً للعودة إلى المناطق التي طردهم المسلمون منها، لذلك جهز جيشاً قوياً وانطلق إلى بلاد الشام لاسترجاع السيطرة عليها، وأعاد توحيد البلاد من جديد[2].

2_ ثورة الأمير أقواش البرلي في حلب على الظاهر بيبرس (660هـ / 1262م):

بعد مقتل السلطان المظفر قطز، وتولي السلطان الظاهر بيبرس البندقداري الحكم في البلاد، استولى الأمير شمس الدين أقوش البرلي العزيزي [3]على حلب، وجمع معه الكثير من التركمان والعرب وأقام بها دون أن يخرج للسيطرة على مناطق أخرى نحو أربعة أشهر. ثم توجه إلى البيرة[4] وأخذها، ومضى إلى حران[5] فأقام بها، وصار يقترب من حلب ويبتعد عنها خوفاً من الظاهر بيبرس[6]، وظل الحال هكذا حتي سيطر الأمير علم الدين سنجر الحلبي على حلب، بعد تكليفه بذلك من السلطان الظاهر بيبرس،. مقابل العفو عنه بعد ثورته في الشام[7]. وهذا يدلل على ذكاء وحكمة السلطان الظاهر بيبرس البندقداري، حيث استخدم خصم الأمس في التخلص من

---

(1) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي (ج 2 / 204).

(2) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي (ج 2 / 204).

(3) الأمير شمس الدين أقوش البرلي العزيزي، خرج عن طاعة السلطان الظاهر بيبرس وحاول الاستقلال ببلاد الشام، وعندما تعرضت بلاد الشام لخطر المغول، وأرسل السلطان جيش دخل في طاعة السلطان من جديد، لكنه خالف السلطان في مصر وتم القبض عليه عام 661هـ/1263م، الحلبي، الأعلاف الخطيرة (ج1/147).

(4) البيرة منطقة بين شمال حلب وكانت قلعة حصينة، وهناك منطقة أخرى تقع وسط فلسطين بين القدس ونابلس، الحموي ، معجم البلدان (ج1 / 526).

(5) حران مدينة مشهورة تقع في جزيرة أقور (سمية جزيرة لأنها تقع بين نهري دجلة والفرات)، تقع بين الرها والرقة على طريق الموصل والشام، الحموي ، معجم البلدان (ج2 / 235).

(6) المقريزي ، السلوك (ج 1 / 545).

(7) اليونيني ، ذيل مرأة الزمان (ج 1 / 142).

خصم اليوم، فالقوة تحتاج إلى السياسة والحكمة لإدارتها، وإلا كانت النتائج عكسية.

بعد أن خسر الأمير أقواش البرلي حلب ، والكثير من المناطق التي كان يسيطر عليها، ولم يبق في يده غير البيرة، أدرك أن أمره قد انتهى[1]، فأرسل للسلطان الظاهر بيبرس البندقداري في مصر يطلب الأمان ويعلن الطاعة، فقبل السلطان ذلك وأرسل إلى النواب بالإحسان له وعدم التعرض له بأذى إلى أن وصل مصر، فأكرمه وأكثر له العطاء، هذا التصرف قد يكون مستغرباً، لكن ما نتج عنه من وحدة يدلل على حكمة السلطان، وهكذا يكون السلطان الظاهر بيبرس البندقداري، قد تخلص من هذه الفتنة بأقل الخسائر، و باستخدام الحكمة والسياسة تارة، والقوة العسكرية تارة أخرى، فأعاد توحيد المسلمين من جديد [2].

3 _ ثورة الأمير سنقر الأشقر ضد السلطان المنصور بن قلاوون وإعلانه الإستقلال في بلاد الشام(678 هـ / 1279م):

اعترض الأمير سنقر الأشقر على السلطان قلاوون لقتله بعض الأمراء، وأعلن الاستقلال ببلاد الشام عن مصر، واستعد للحرب بتجهيز الجيش الشامي للتصدي للقوات القادمة من هناك[3]، وأقام في دمشق، ثم خرج من دار السعادة بعد صلاة العصر، ومعه جماعة من الأمراء والجند، وقصد القلعة من الباب الذي يلي المدينة، فهاجمها بمن كان معه ، وأقام بها بعد أن سيطر عليها، وهكذا يكون قد سيطر على مركز الحكم في بلاد الشام، وطلب الطاعة من الأمراء والجند ومن حضر، ثم أعلن نفسه سلطاناً لبلاد الشام بعد ان أجابه الكثير ممن حضر، ولقب بالملك الكامل، ثم أعلن للعامة استقلاله عن مصر. وبعد أيام قليلة طلب حضور القضاة والعلماء ورؤساء البلد وأكابره وأعيانه إلى مسجد أبى الدرداء رضى الله عنه بقلعة دمشق، وأخذ البيعة من بقية الأمراء والعسكر[4]، ومما سبق يتضح لنا حرص الأمراء والسلاطين في الدولة المملوكية على كسب العلماء إلى جانبهم، ليقينهم في تأثير هؤلاء في عامة الناس، وإننا نجد هذا الأسلوب متبعاً في حاضرنا، فيستخدم العلماء وأهل الحل والعقد ورجال الدين لكسب الشرعية وإن كانت مزيفة أو شكلية.

وفور إعلان الأمير سنقر الاستقلال في بلاد الشام، أرسل جزءاً من قواته إلى غزة لتأمين الحدود والتصدي للقوات القادمة من مصر، وكانت حامية غزة[5] التابعة للسلطان قلاوون، والتي

---

(1) ابو الفداء بن علي، المختصر في أخبار البشر (ج 1 / 459).

(2) المقريزي ، السلوك لمعرفة الملوك (ج 1 / 545).

(3) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة (ج 1 / 286).

(4) اليونيني ، ذيل مرأة الزمان (ج 2 / 10).

(5) غزة مدينة من مدن فلسطين المشهورة، تقع جنوب غرب بلاد الشام بالقرب من الحدود المصرية بالقرب من

فضلت الانسحاب والانضمام للقوات القادمة من مصر، وعند وصول هذه القوات تراجعت قوات الأمير سنقر إلى الرملة بعد هزيمة كبيرة[1]، ومن هنا بدأ التصدي لهذه الثورة، حتي تمكن السلطان من القضاء عليها.

4_ ثورة السلطان الناصر محمد بن قلاوون على السلطان بيبرس الجاشنكير وعودته للحكم عام(709هـ / 1309م):

بعد تنازل السلطان الناصر محمد بن قلاوون عن الحكم وتوجهه إلى الكرك، بسبب استبداد الأمراء بقيادة بيبرس الجاشنكير و سلار واستيلائهم على الحكم، حاول السلطان بيبرس الجاشنكير التخلص من الناصر محمد بن قلاوون، وذلك بسبب خوفه من مكانة الناصر محمد بن قلاوون عند العامة وعند الكثير من الأمراء المماليك، فبدأ بمجموعة من الإجراءات لإضعاف الناصر محمد بن قلاوون تمهيداً للتخلص منه، أول هذه الإجراءات أن أرسل بطلب الأموال الموجودة في خزنة الكرك[2]، وهو أشبه بالحصار المالي اليوم، ثم أرسل في طلب الخيول والمماليك الموجودين في الكرك [3]، وهذا بلا شك تجريد من القوة العسكرية التي يمكن أن تساعد الناصر محمد في أي تحرك عسكري محتمل ضد بيبرس الجاشنكير، وهنا بدأ الخلاف بين الطرفين يشتد، وأدرك الناصر محمد أن بيبرس الجاشنكير يهدف من وراء هذه الإجراءات إضعافه للتخلص منه بعد ذلك، فرفض طلب بيبرس الجاشنكير ورفض إرسال المماليك والخيل الموجودين تحت سيطرته، ووبخ رسول بيبرس الجاشنكير الأمير مغلطاي[4] وأمر بقتله لأنه لم يتعامل معه بالأسلوب المناسب وأغلظ في الحديث، ثم عفى عنه بعد تدخل بعض الأمراء، واكتفى بطرده خارج الكرك بعد أن أهانه[5].

بالإضافة إلى الخلاف بين الطرفين، واعتقاد كل طرف أنه صاحب الحق، فالناصر محمد يعتبر أن بيبرس الجاشنكير قد سلبه الحكم باستبداده، والأخير يعتبر أن الناصر قد تنازل عن

عسقلان، الحموي ، معجم البلدان (ج 4 / 202).

(1) اليونيني ، ذيل مرأة الزمان (ج 2 / 20 ، 21).

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (ج 8 / 173 ، 174)؛ المقريزي، السلوك (ج432/2)؛ العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (ج 2 / 46)؛ الشوكاني ، البدر الطالع من بعد القرن السابع (ج168/1).

(3) المقريزي، السلوك (ج 2 / 432).

(4) الأمير علاء الدين الناصري الجمالي مغلطاي، كان مكن كبار الأمراء المماليك، وأمير مئة مقدم ألف، توفى عام 790هـ/ 1388م، الصفدي ، اعيان العصر وأعوان النصر (ج5 / 431).

(5) المقريزي ، السلوك (ج 2 / 432).

الحكم وتم اختياره سلطاناً للبلاد من قبل أهل الحل والعقد، ثم قام بعض الأمراء بتوجه إلى الناصر محمد بن قلاوون في الكرك، بسبب عدم رضاهم على سياسة بيبرس الجاشنكير، وطلبوا منه التراجع عن قرار التنازل عن الحكم، وأن يقوم بعزله ويعود سلطاناً للبلاد، وأبلغوه أن الكثير من الأمراء يرغبون في ذلك، وأن عامة الناس يميلون له، ويريدون التخلص من حكم بيبرس الجاشنكير[1].

أعلن الناصر محمد بن قلاوون استقلاله في الكرك، وراسل الأمراء الموجودين في مصر وبلاد الشام يطلب منهم الخروج على حكم بيبرس الجاشنكير، والانطواء تحت حكمه، وقد رحب معظم أمراء الشام بذلك، ويبدوا أن الكثير من الأمراء المماليك كانوا غير راضين عن حكم الجاشنكير، هذا واضح من سرعة استجابتهم لطلب الناصر محمد، وقد يكون ذلك حسداً للجاشنكير، أو أنهم يرونه غير كفء، وقد يكون بسبب ميل الناس للناصر محمد، فقد خرج أهل دمشق في الشوارع يطالبون بعودة الناصر محمد بن قلاوون، ورفضوا طلب الخليفة العباسي، الذي أعلن وجوب طاعته، وأنه يأمرهم بطاعة السلطان بيبرس الجاشنكير، وكان رد الأمراء إيجابياً على طلب الناصر محمد، وطلبوا منه التوجه إلى دمشق، وانضم له الكثير من أمراء مصر، حتي الأمراء الذين ارسلهم بيبرس الجاشنكير لقتال الناصر محمد قد خانوه وانضموا إلى جانب الناصر محمد، هكذا انسحب البساط من تحت أقدام السلطان بيبرس الجاشنكير تدريجياً، وأَصبحت كفة الناصر محمد الأرجح، مشكلاً جيش كبير من معظم بلاد الشام في دمشق، والأمراء الذين قدموا سابقاً من مصر وتوجههم إلى هناك[2].

بالإضافة إلى الخطر القادم من الشام، كانت الأوضاع في مصر مضطربة جداً بسبب الثورة الشعبية ضد السلطان بيبرس الجاشنكير، والذي أدرك أن أيامه أصبحت معدودة وأمره إلى زوال، فمعظم الأمراء المماليك قد انضموا إلى الناصر محمد بن قلاوون، والشعب قام بثورة ضده، ولم يبق معه غير مماليكه، فقرر التنازل عن الحكم، وبدأ التفاوض مع الناصر محمد وطلب منحه الكرك أو صهيون[3] أو حماة[4]، وأن يكون معه ثلاثمائة مملوك من مماليكه، وافق الناصر محمد على اعطائه منطقة صهيون، لكن بيبرس الجاشنكير هرب قبل وصول الناصر باتجاه الصعيد،

---

(1) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (ج 1/ 497-502)؛ المقريزي، السلوك (ج 2 / 432 – 440).

(2) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (ج 1/ 497-502)؛ المقريزي، السلوك (ج 2 / 432 – 440).

(3) قلعة صهيون من اقوي حصون بلاد الشام زمن المماليك، تقع قرب حمص ناحية الساحل، حررها من الصليبيين القائد صلاح الدين الايوبي عام 485هـ، الحموي ، معجم البلدان (ج3 / 436).

(4) مدينة حماة من اكبر مدن بلاد الشام، تقع على نهر العاصي في سوريا اليوم، كانت تقع على الطريق التجاري الى دمشق، الحموي ، معجم البلدان (ج2 / 300).

ويبدو أنه لم يطمئن للناصر محمد وفضل الهرب قبل وصول الجيش القادم من الشام، وهكذا عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون الى الحكم للمرة الثالثة[1].

(1) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (ج 1/ 497-502)؛ المقريزي، السلوك (ج 2 / 432 – 440).

المبحث الثالث: الثورات زمن دولة المماليك البرجية:

تمهيد:

كانت الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر وبلاد الشام زمن دولة المماليك البرجية[1]، في غاية السوء، ورغم ذلك زادت الصراعات بين الأمراء المماليك فيها، دون مراعاة أحوال الناس، والصعوبات والمشاكل التي تواجه الدولة، فقامت بعض الثورات ضدهم، وقد استغلت معظم هذه الثورات من الأمراء والسلاطين وفي الصراعات بينهم لتحقيق المكاسب الشخصية.

أولاً : ثورات العامة (الحرافيش) ضد المماليك البرجية:

انتشر ظلم بعض الأمراء للناس في دولة المماليك البرجية، وكانوا يستغلون الخلاف والصراع بينهم على السلطة، ليقوموا بالسيطرة على أملاك وأموال العامة بجميع فئاتهم دون رادع، وكان معظم السلاطين لا يحاسبوا هؤلاء الأمراء ومماليكهم لاستمالتهم في الصراعات الداخلية بينهم، والصراع على المناصب العسكرية والسياسية، مما دفع العامة لمحاولة الدفاع عن أنفسهم وأموالهم وأملاكهم بأنفسهم، وقاموا بالعديد من الثورات والاحتجاجات.

_ ثورة العبيد زمن السلطان الأشرف سيف الدين برسباي عام (840هـ / 1436م):

لم يكن ولاء وارتباط المماليك الجلبان أو الأجلاب[2] بأمرائهم زمن دولة المماليك البرجية قوياً، كارتباط المماليك بأمرائهم في دولة المماليك البحرية، بل كانوا يميلون إلى مصالحهم الشخصية، ويعملون على المزيد من المكاسب المادية من أموال وخيول وغيرها، ولم يستطع الأمراء ولا السلاطين السيطرة على المماليك الأجلاب، الذين أخذوا في الاعتداء على الأسواق وأملاك الناس، وعلى كل من خالفهم، بل وصل بهم الحد إلى الاعتداء على الموظفين الكبار في الدولة، دون حساب أو عقاب لهم، وهذا دفعهم لمزيد من الفساد والتعدي على حقوق الناس، وانتشرت

---

(1) للتعرف على حدود دولة المماليك البرجية أنظر ملحق (6).

(2) هم المماليك الذين جلبوا حديثاً، حيث كان كل سلطان يعمل على جلب مجموعة من المماليك، بداية حكمه للاستعانة بهم في الحكم ولمواجهة المماليك القدماء، حلاق، حسان و صباغ ، عباس، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، (ص66).

الفوضى في شوارع مصر، ولم يجد الناس من يدافع عنهم، ولم تستطع الدولة فرض القانون على هؤلاء المماليك، مما دفع كثيراً من فئات الشعب للقيام باحتجاجات ومظاهرات تحولت إلى ثورة ضدهم، ومن أهم هذه الثورات ثورة العبيد زمن السلطان الأشرف سيف الدين برسباي[1] عام 840هـ/1436م[2].

بدأت أحداث هذه الثورة عندما نزلت جماعة كبيرة من المماليك الأجلاب الذين يسكنون في قلعة الجبل، إلى الأسواق والأحياء الشعبية، وأخذوا في نهب الناس وخطف النساء والصبيان، فاجتمع عدد كبير من العبيد السود وقاتلوا المماليك الأجلاب، لأنهم لم يجدوا من يدافع عنهم، فقتل من العبيد خمسة نفر، وجرح بعض المماليك، وانتشرت الفوضى في كل مكان، مما ادى لازدياد عمليات السلب، ثم أخذ المماليك بتتبع العبيد فقتلوا منهم جماعة، وانتقلت الأحداث من مكان إلى آخر وخرجت الأمور عن السيطرة، حتى تحولت إلى ثورة كبيرة[3]، شارك فيها الكثير من العامة، لضجرهم من ظلم المماليك الأجلاب، ولسياسة المسؤولين والسلطان نحوهم، القائمة على الخوف والتقرب منهم دون النظر لبشاعة أفعالهم ضد الناس.

ثانياً: ثورات الامراء و الولاة زمن دولة المماليك البرجية:

تميز عصر دولة المماليك البرجية بكثرة الاضطرابات، والفتن، والثورات، والانقلابات بين الأمراء، وقد شملت هذه الفتن جميع الفئات في الدولة، وتأثرت بها فئات الشعب كلها، وشارك في هذه الثورات كثير من العامة والأمراء، وفي معظم الأحيان كانت العامة تسبق الأمراء في القيام بهذه الثورات، وأحياناً كان الأمراء يستخدمون العامة لتحقيق مصالحهم، وقد اشترك في هذه الثورات الزعران والعربان والعامة والأمراء ورجال الدين، وغيرهم، طوعاً وكرهاً.

اندلعت هذه الثورات والانقلابات، في وقت كانت تعاني البلاد الكثير من الكوارث مثل: الحرائق، وانتشار الأوبئة، والمجاعات بسبب الجفاف، التي فتكت بالآلاف، ولكن حب السلطة والحكم والمناصب أعمى بصائر هؤلاء الأمراء والقادة ولم يحركوا ساكناً، ولم يسعوا إلى تطوير

---

(1) السلطان الأشرف سيف الدين ابو النصر برسباي الدقماقي الظاهري الشركسي توفى عام841هـ / 1438م في مصر، المقريزي ، السلوك (ج7 / 55).

(2) عبدة ، قاسم ، الايوبيين والمماليك التاريخ السياسي و العسكري (ص 221).

(3)ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة (ج 15 / 83).

البنية التحتية للبلاد خاصة الاقتصادية[1]، وقد كان الزعران وقطاع الطرق والخارجون على القانون وغيرهم يستغلون هذه الأحداث للنهب والسلب لأملاك العامة والأمراء المهزومين، وكان المنتصر يترك هؤلاء يقومون بأعمال كارثية ضد الشعب وممتلكاته أياماً ؛ فاجتمع على الامة شر الكوارث وشر الفتن، من ثورات وانقلابات.

وانتشر الفساد وسط السلاطين المماليك خاصة صغار السن، وانشغلوا باللهو وشرب الخمر والغناء وغير ذلك، مما مكن الأمراء من التحكم في الدولة وهم يعيشون في آمان إلى جانب السلاطين وتحكموا فيهم قتلاً، وسجناً، وعزلاً[2]. **وتتعدد ثورات الأمراء و الولاة زمن دولة المماليك البرجية، وذلك فيما يلي:**

أ- ثورات الأمراء و الولاة زمن دولة المماليك البرجية في مصر:

طمع الكثير من الأمراء في السلطة، مستغلين قوة مماليكهم، وصغر سن أو ضعف السلاطين، أو حالة فوضى، أو اضطرابات في البلاد، أو غير ذلك من الأوضاع التي تمكنهم من الوصول إلى السلطة والحكم، وقد زادت المحاولات في هذا الوقت بشكلٍ كبير حيث كان الصراع بين الأمراء على أشده[3]، زمن دولة المماليك البرجية في مصر التي تمثل مركز الحكم، لوجود السلطان، وكبار الأمراء، والخليفة، والقضاة ،وأصحاب المناصب السياسية والعسكرية والدينية، ومن يملك القرار، **ومن هذه الثورات ما يلي:**

1_ ثورة الأمير منطاش ضد الأمير يلبغا الناصري عام (791هـ / 1389م):

بعد سيطرة الأمير يلبغا الناصري[4] على الحكم في مصر، وقع خلاف بينه وبين بعض الأمراء المماليك، الذين ساندوه في السيطرة على الحكم، وعلى رأسهم الأمير منطاش[5] الذي

---

(1) الشرقاوي، مديحة، برسباي وسياستاهُ الداخلية والخارجية (ص4-6)

(2) الشرقاوي، مديحة، برسباي وسياستاهُ الداخلية والخارجية (ص7)

(3) الشرقاوي، مديحة، المرجع نفسه (ص7-11)

(4) يلبغا الناصري من مماليك الظاهر برقوق ثم انتقل إلى ابنه الناصر، أصبح من كبار أمراء المماليك، السخاوي، الضوء اللامع (ج10 / 290).

(5) الأمير منطاش اسمه أحمد كان هو وأخيه محمد تمرتاي الدمرداشي، من موالي السلطان الناصر محمد، وترقي في الكثير من المناصب حتى أصبح من كبار أمراء المماليك، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ج5/ 546).

اختلف معه على تقسيم الاقطاعات والمناصب السياسية والعسكرية والادارية في البلاد، واستبداد الناصري بالحكم دون السلطان الذي كان لا يملك من القرار شيئاً، وأعلن منطاش العصيان على يلبغا الناصري، وقال للخليفة الذي حاول التدخل للإصلاح بين الطرفين: "لكن الناصري غريمي فإنه حلف لي وأنا بسيواس وحلف لي بحلب وبدمشق أننا نكون شيئاً واحداً، وأن السلطان يتحكم كيف يشاء. فمنع السلطان من التصرف واستبد هو بالأمر وأخرج بزلار إلى الشام، وبعثني إلى قتال الفلاحين، ولم يعطني شيئاً من المال سوى مائة ألف درهم. وأخذ لنفسه أحسن الإقطاعات وأعطاني أضعفها تعمل في السنة ستمائة ألف درهم. والله ما أنا براجع عنه حتى أقتله أو يقتلني أو يقيم سلطاناً يستبد بالأمور"[1]، يبين هذا سبب كثرة الفتن والعصيان من الأمراء، ويوضح أهداف كثير من المسؤولين من وراء المشاركة في الفتن والعصيان الذي يتحول إلى ثورات ضد السلطان، دون النظر للنتائج الكارثية على المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وغير ذلك، كل ما يهتم به هؤلاء هو المكاسب والمناصب، وما زال الكثير يسير على نفس النهج ولا يتعلم من التاريخ وأحداث الماضي، ولا يأخذ العبر والعظة، وهو ما نسعى له من خلال دراسة التاريخ.

الدارس لتاريخ الثورات والانقلابات العسكرية ومحاولات السيطرة على الحكم زمن دولة المماليك البرجية، يجد أن الخلاف على تقسيم المكاسب من الأموال والمناصب وغيرها، والصراع بين القادة، والفشل في إدارة مرحلة ما بعد السيطرة على الحكم؛ سبب رئيسي للفشل، خاصة في مثل الأوضاع في مصر وقت سيطرة الناصري عليها، فالشعب يعاني من أوضاع اقتصادية صعبة، ومشاكل أمنية أصعب، بسبب انتشار الأوبئة، والصراعات السياسية المتكررة، وترك يد التركمان وقطاع الطرق والزعران، قاسية على العامة، ولم يقم المسؤولون بواجبهم في حماية الشعب، مما سبب نفور من الناصري وأتباعه[2].

كان يجب على يلبغا الناصري أن يعمل على كسب الشعب إلى جانبه حتى يتمكن من الحكم، لكنه فعل العكس، فقد دخل في صراع مع الأمراء والقادة العسكريين، واستبد بالحكم، وخسر السلطان والأمراء الموجودين في مصر، حدث هذا الخلاف في تلك الأوضاع، قبل أن يقضي الناصري على قوة المماليك الظاهرية وأتباعهم، وقبل إحكام السيطرة على البلاد بشكل كامل، فقد

(1) المقريزي، السلوك (ج 5 / 242) ، العسقلاني ، إنباء الغُمر بأبناء العمر (ج 2 / 375).
(2) المقريزي، السلوك (ج 5 / 242 – 246).

كانت بعض المناطق مازالت ثائرة ضد الناصري، مثل الصيد[1]، وغيرها من المناطق البعيدة عن القاهرة، والثورات والسيطرة على الحكم لا تتم دون التمكين من أركان ومفاصل الحكم في البلاد، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وإعلامياً، والوعي الكامل للمخاطر الداخلية والخارجية إقليمياً ودولياً، وأرى ذلك قانوناً لكل زمان ومكان، وإلا ستكون النتائج الفشل والهزيمة ونجاح الخصوم، كما حدث مع الأمير يلبغا الناصري، وتمكن الأمير منطاش الحكم.

2_ ثورة الأمير الظاهر أبو سعيد جقمق على السلطان العزيز جمال الدين أبو المحاسن (842هـ / 1438م):

بعد وفاة السلطان الأشرف سيف الدين برسباي، اختلف الأمراء والمماليك فيما بينهم، على من يقوم بإدارة الحكم ويكون الوصي على السلطان صغير السن، وانقسموا إلى قسمين، كل منهما يظهر طاعة السلطان العزيز جمال الدين أبو المحاسن[2]، أحدهما بقيادة الأمير الكبير نظام الملك جقمق[3] ويقال لهم القرانصة[4] وهم الأمراء والمماليك الظاهرية برقوق والناصرية فرج بن برقوق والمؤيدية، والنوروزية، والجكمية، ومعهم بعض من المماليك الأشرفية، والقسم الآخر المماليك الأشرفية وهم بالقلعة مع السلطان وعندهم الخليفة، ويتحكمون بأموال الدولة ومخازن السلاح، إلا أنهم صغار السن، لا يملكون من الخبرة السياسية والعسكرية والإدارية شيئاً، ولا يستطيعون التعامل مع الأزمات وإدارة البلاد كما يجب [5]، ومن الواضح أن الأمراء الكبار وأصحاب النفوذ السياسي والعسكري قد استغلوا ذلك لصالحهم، وعملوا على السيطرة على الحكم بإبعادهم وتفريقهم من حول السلطان، ثم

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 5 / 246).

(2) السلطان جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأشرف أصبح سلطان بعد موت أبيه عام 841هـ/1447م، وكان يبلغ من العمر حوالي 14سنه، ثم خلعه الأمير جقمق بعد حوالي 95 يوماً فقط وسجن في الاسكندرية، ابن تغري بردي، مرد اللطاف في من ولي السلطنة والخلافة (ج2 / 156).

(3) السلطان الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق العلائي الظاهري، أصبح سلطان على مصر والشام عام 842هـ/1448م بعد خلع العزيز يوسف، توفى عام 857هـ/1453م، ابن تغري بردي، مرد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة (ج156/2).

(4) القرانصة مصطلح كان يطلق على المماليك القدماء، مقابل المماليك الجدد الذين اطلقوا عليهم المماليك الجلبان، حلاق، حسان و صباغ ، عباس ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية، (ص172).

(5) المقريزي، السلوك: (ج 7 / 375).

التخلص من السلطان نفسه.

توجه الأمير جقمق ومن معه من المماليك القرانصة وبعض الزعر والعامة للقلعة، من ناحية باب السلسلة، بعد أن وعد بمنحهم الأموال والعطاء، فاستعد المماليك الأشرفية بداخلها، وهاجمها الأمير جقمق ومن معه، واشتبك الطرفان، وقتل عدد من العامة، واستمر القتال حتى تدخل القضاة وأصحاب النفوذ لإخماد الفتنة والوصول إلى حلٍ يرضي الطرفين، وكان مطلب الأمير جقمق والقرانصة، خروج بعض المماليك الأشرفية من القلعة، بحجة تحكمهم في السلطان، فوافقوا على ذلك، بعد أن أيقنوا أنهم لا يستطيعون التصدي لتلك الثورة، التي اجتمع فيها بعض فئات الشعب مع الأمراء وشكلوا قوة كبيرة، لكن تراجعهم هذا يدلل على جهلهم وسوء تدبيرهم، فقد تنازلوا للخصم دون أن يأخذوا الضمانات على سلامتهم، وعدم التعرض لهم بالأذى، وهذا يتضح حين أمر الأمير جقمق فور نزولهم من القلعة باعتقالهم، ، وأصبح الرجل الأول في القلعة دون منافس، يتحكم في البلاد كيفما شاء، والسلطان لا يملك شيئاً من أمر الحكم، وبدأ الأمير جقمق التسلل لمفاصل الدولة حتى ملكها، وبعد أن فرق الأمراء الأقوياء من حول السلطان وأصبحت القلعة في قبضته، عزل السلطان وأخذ البيعة لنفسه[1].

3_ ثورة الأمير قرقماس على السلطان جقمق (842هـ / 1438م):

منذ وفاة السلطان الأشرف برسباي، بدأ الامير قرقماس[2] بالتفكير بالسيطرة على الحكم، وكان ذلك واضحاً في أقواله وأفعاله، وقد لاحظ ذلك الكثير من الأمراء والمماليك، فتقرب إليه البعض لتحقيق بعض المكاسب[3]، وفطن لذلك الأمير جقمق قبل أن يجلس على العرش، وأقنعه عن طريق المدح والمناصب والعطاء، بمساعدته بالسيطرة على الحكم، وقد كان يعرف الأمير قرقماس بالعجلة والتهور[4]، وضعف قدراته السياسية، واعتماده على القوة في التعامل مع المشاكل

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 7 / 375 – 378).

(2) الأمير قرقماس الشعباني الظاهري، كان من مماليك برقوق، ثم أصبح تابع للناصري، ثم اعتق وترقى في المناصب حتى أصبح دواداراً، وتحالف مع الأمير جقمق العلائي ضد السلطان العزيز يوسف، ثم أنقلب على الأمير جقمق 842هـ/1448م، لكنه هزم وقبض عليه وأعدم في الاسكندرية، السخاوي الضوء اللامع (ج6 / 220).

(3) المقريزي، السلوك (ج 7 / 373 – 375).

(4) المقريزي، المصدر نفسه (ج 7 / 375).

التي تواجهه، وفي تحقيق أهدافه، وهذا الأسلوب لا يجدي نفعاً في الكثير من الأحيان، ويمكن أن يورط صاحبه في الكثير من المشكلات، ويفرق الناس من حوله خوفاً من بطشه وظلمه، لذلك فاستخدام الحكمة والعقل والسياسة ضرورة، وإن امتلكت القوة العسكرية، فجني الثمار السياسية يحتاج إلى سياسة.

عندما وقع الخلاف بين أمراء القرانصة والسلطان جقمق، بسبب طمعهم ومطالبتهم بالزيادة في الإنفاق عليهم ودب الخلاف بينهما[1]، استغل القرانصة طمع الأمير قرقماس في السلطة فتقربوا إليه، وطلبوا منه الخروج على السلطان جقمق، وأقنعوه أنه أحق بالعرش منه، وبعد حوارات عديدة بينه وبين القرانصة، أعلن الخروج على السلطان، واجتمع حوله الكثير من المماليك، وانضم إليهم المماليك الأشرفية[2]، وكان كل طرف يطمع في السلطة، فكان الأمير قرقماس يريد الأمر لنفسه، دون أن يفكر في أهداف من تبعه، واتفق الأشرفية على قتل قرقماس بعد التخلص من السلطان جقمق والسيطرة على الأمر، وتعين العزيز سلطاناً من جديد، فالخلاف واضحاً منذ البداية، وذلك يدلل على الفشل.

تجمع قرقماس وأتباعه عند باب السلسلة للقلعة، وأعلن في البلاد بأنه سيعطي مائتي دينار لكل من ينضم إليه من المماليك ضد السلطان جقمق، وعشرين ديناراً لكل واحد من الزعر، وتجمع حوله الكثير، ظانين أن أمر السلطان جقمق الذي كان يتحصن في القلعة مع عدد قليل من اتباعه قد انتهى، فهو لا يملك من القوة ما يساعده على التصدي لذلك الخطر، فلجأ إلى الحكمة والسياسة، للتفريق بين الخصوم وتجميع انصار جدد حوله يساعدوه في التصدي لذلك الخطر، استغل الخلاف بين قرقماس وحلفائه، واختلاف أهدافهم، واستعان بالشعب باستخدام الأموال، وحول ضعفه قوة، وقوة خصمه ضعف، ونجح في البقاء على العرش[3].

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 7 / 385)، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ة (ج 16 / 114).

(2) المقريزي، السلوك (ج 7 / 385).

(3) المقريزي، المصدر نفسه (ج 7 / 386).

4_ ثورة الأمير إينال العلائي على السلطان المنصور عثمان عام (857هـ/1453م) :

فور جلوس السلطان المنصور عثمان[1] على العرش، بدأ الخلاف بينه وبين بعض الأمراء والمماليك أصحاب النفوذ والمناصب السياسية والعسكرية في البلاد، فمعظمهم كان يسعى إلى تحقيق المزيد من المكاسب، وإنْ لقي ذلك معارضة السلطان الجديد عملوا على التخلص منه، واستبداله بمن يمكنهم من ذلك، فقد توجه الكثير من المماليك المعارضين للسلطان الجديد إلى الأمير إينال العلائي[2]، وطلبوا منه الخروج على السلطان المنصور عثمان، فرفض ذلك الطلب في البداية، لكنه قَبِل تحت إلحاحهم وبعد أن زينوا له السلطة، وكان رفضه في البداية خوفاً من العواقب لا عزوفاً عن الحكم، وبسبب إصرارهم على ذلك أعلن الخروج عن طاعة السلطان وحاصر القلعة التي تحصن بها مع الكثير من الأمراء والمماليك، وتقاتل الطرفان أياماً، عمل كل منهما على تحقيق النصر على الأخر، واستخدما جميع ما استطاعا من السلاح وأساليب كثيرة لتحقيق النصر، لكن الغلبة كانت للأمير إينال العلائي[3].

5_ ثورة المماليك الجلبان (الأجلاب) على السلطان الأشرف إينال العلائي (859هـ / 1455م):

أصبح للمماليك الجلبان قوة ونفوذاً في الدولة، واستخدموها في الظلم والسيطرة على حقوق الغير بغير وجه حق، سواء كانت هذه الحقوق للشعب أو من أملاك الأمراء وكبار الموظفين، وكان همهم جمع الأموال وما يحتاجون من سلع وأمتعة وغير ذلك، دون رادع من السلطان والمسؤولين، فقد هاجموا بيت الأستادار الأمير ناصر الدين محمد بن أبي فرج[4]، ونهبوا جميع ما كان فيه،

---

(1) السلطان عثمان بن السلطان جقمق لقب المنصور أبو السعادات، ولد عام 839هـ/ 1445م، أصبح سلطان بعد ابيه، عام 857هـ/1453م، لمدة قصيرة جدا حيث عزلة الأمير أينال وأرسله إلى الاسكندرية، وعمل على طلب العلم، وتوفى عام 892هـ/1487م في دمياط، السخاوي : الضوء اللامع (ج5 / 127 ، 128).

(2) أينال العلائي الظاهري لقب الأشرف سيف الدين أبو النصر، ولقب بالأجرود، كان من كبار الأمراء المماليك وشارك في العديد من الغزوات ضد الصليبين، أصبح سلطان عام 857هـ/1453م، توفى عام 865هـ/1461م، السخاوي ، الضوء اللامع (ج2 / 328).

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 16 / 42).

(4) الأمير ناصر الدين محمد بن ابي فرج، أصبح نقيب الجيش واستادار في نفس الوقت، زمن السلطان أينال العلائي، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 16 / 76)؛ المقريزي، السلوك (ج 7 / 422).

وبدلاً من عقابهم طلب الأستادار نفسه العفو عنهم، وكان هذا أول ظهور الجلبان وبداية ظلمهم[1]، وفي يوم الأحد ثاني محرم سنة 859هـ/1455م، انتشرت الاضطرابات وعمت الفتنة بين الناس بسبب أفعالهم، وعندما أبلغ السلطان بهذه الأحداث لم يقم بالإجراءات المناسبة، كمعاقبة المعتدي وإرجاع الحقوق لأصحابها، ويبدو أن عدم المساءلة والمحاسبة، زاد من تغولهم وظلمهم الناس، ووصل شرهم إلى أملاك الأمراء وطمعوا في ما عند السلطان نفسه[2].

في نفس العام، وقعت فتنة بين المماليك الظاهرية الجقمقية ومماليك السلطان الأشرف إينال، وسببها ثورة المماليك الأجلاب، وأفعالهم القبيحة بالناس، ثم رفض المماليك الجلبان للخروج مع القوات المتجهة إلى البحيرة، لأن السلطان لم يزد في عطائهم، واعتصم المماليك الجلبان في سوق الخيل، ورفضوا الخروج إلا بعد الحصول على مطلبهم، واعتدوا على الأمير يونس الدوادار، ووقع بينهم وبين مماليكه قتال بسيط، جرح فيه البعض قبل انسحاب الأمير يونس الدوادار والاحتماء بالقلعة عند السلطان[3].

اجتمع المماليك الجلبان حول القلعة وطالبوا السلطان بتسليم الأمير يونس الداودار، لادعائهم أن مماليكه اعتدوا عليهم بالسيوف، وهم لا يحملون إلا الدبابيس – عذرٌ أقبح من ذنب–، استغل هذه الفتنة عدد كبير ممن كان يكمن العداء للسلطان، وساعدوا الجلبان ووقفوا معهم كالمماليك القرانصة وغيرهم، وانضموا إلى الجلبان ضد السلطان وهددوه، والسلطان على عادته لم يحرك ساكناً، وأرسل إليهم بعض الأمراء للتعرف على مطالبهم، وعندما رفض السلطان مطلبهم بتسليم الأمير يونس، توجهوا إلى بيت الأخير وحاولوا نهبه وإحراقه، لكن مماليكه منعوهم من ذلك، فتوجهوا إلى سوق الخيل، واعتدوا على منادي السلطان الذي أرسله لينادي بالأمان، وهذا اعتداء على شخص السلطان، بتعمد عدم تنفيذ أوامره، والتصدي لمن يريد أن يخالف رغباتهم وينفذ أوامر السلطان، هذا يحتاج لوقفه من السلطان والأمراء أصحاب الأمر والنهي في الدولة، لكن ذلك لم يحدث، وعمل السلطان على حل المشكلة بتعويض الجرحى بالأموال، لكنهم رفضوا ذلك[4]. وبدأت الفتنة تشتد وتزداد انتشاراً وخطورة، بانضمام المماليك الظاهرية الجقمقية إلى جانب المماليك

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 16 / 84).

(2) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج 16 / 84).

(3)ابن تغري بردي، المصدر نفسة (ج 16 / 84).

(4) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج 16 / 84).

الجلبان[1].

كان المماليك الظاهرية الجقمقية يراقبون التطورات عن بعد لا يختلطون بهم ينتظرون الفرصة المناسبة، فلما تحققوا من خروج المماليك الجلبان على السلطان، وثار ما عندهم من الضغائن التي كانت كامنة في صدورهم من الملك الأشرف أينال لما فعل بابن أستاذهم الملك المنصور عثمان وحبس خجداشيتهم[2]، وتقريب أعدائهم الأشرفية مماليك الأشرف برسباى، انتهزوا الفرصة وانضموا إلى المماليك الجلبان، وعرفوهم أن الأمر لا يتم إلا بوجود الخليفة، حتى تكون معهم الشرعية، ولبسوا السلاح، وأرسلوا الأمير قانى باى المشطوب أحد أمراء المماليك الظاهرية، إلى بيت الخليفة القائم بأمر الله حمزة[3]، المعروف عنه الخفة والطيش فمال إليهم ظناً منه أن النصر يمكن أن يكون حليفهم، فيصبح أحدهم السلطان، فيزيد له العطاء كما فعل السلطان الأشرف أينال من قبل، فإنه منحه الكثير من الإقطاعات والأموال وزاد له العطاء عندما نجح في الوصول للعرش، وعمت البلاد الفوضى والاضطرابات، وانتشر الخوف بين الناس على أرواحهم وأملاكهم[4]، لكن هذه الفتن سرعان ما تم إخمادها بعد الخلاف الذي نشأ بين المماليك الجلبان والمماليك الظاهرية.

---

(1)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 16 / 87).

(2) خشداشية جمع خشداش وهو مصطلح يعني الزميل في الخدمة والخشداشية هم مجموعة من المماليك نشؤا عند سيد واحد وهي من اقوى الروابط عند المماليك، حلاق، حسان و صباغ ، عباس ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية (ص83).

(3) القائم بأمر الله ، حمزة بن المتوكل على الله محمد، ولد عام 791هـ/1389م، وبويع له بالخلافة عام 855هـ/1451م، وخلع منها في عام 859هـ/1455م، وسجن بالإسكندرية إلى أن مات بها في شهر رجب عام 862هـ/1458م، السيوطي ، نظم العقيان في أعيان الأعيان (ج1 / 107).

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 16 / 87).

6_ ثورة الأمير قانصوة خمسمائة زمن السلطان الناصر محمد أبو السعادات بن قايتباي عام (892هـ / 1487م):

حدث خلاف بين السلطان الناصر محمد أبو السعادات[1] و الأمير قانصوة خمسمائة[2]، وتحدثنا المصادر أن أصل الخلاف هو أسلوب مواجهة الأمير أقبردي الدوادار[3] الذي تمرد على السلطان في الشام، حيث أراد الأمير قانصوة خمسمائة، تجهيز الجيش وإرساله لقتال الأمير أقبردي الدوادار في الشام، لكن السلطان رفض ذلك قائلاً " آقبردي ما هو عاص"[4]، ويبدو أن أمر الأمير أقبردي الدوادار لم يكن واضحاً ولم يمثل خطورة كبيرة على السلطان، وإلا لكان السلطان أول من أمر بالتصدي له بكل قوة، اشتد الخلاف بين الطرفين – السلطان والأمير قانصواة– حتى وصل الى الصدام المسلح، وهذا يدلل على طمع الأمير قانصوة خمسمائة في السلطة، ثم انضم لجانب الأمير قانصوة خمسمائة بعض الأمراء مثل الأمير شادبك وأينال الخسيف وغيرهم، وبقي معظم المماليك الجلبان تحت سيطرة السلطان[5].

وتفيد بعض المصادر أن الأمير قانصوة قد سيطر في البداية على الحكم، وأصبح سلطان البلاد بعد عزله السلطان الناصر محمد أبو السعادات، لكن أمره لم يطل حيث تجدد القتال بين الطرفين، وأصيب قانصوة خمسمائة نفسه في المعركة، وهرب إلى مكان مجهول لم يعرف في ذلك الوقت، وكانت مدة حكمه ستة أيام فقط[6]، لكن الثورة لم تنته فما زال قادة الثورة أحرار، ويبدو أن ذلك أقلق السلطان مما دفعه لاستخدام الحكمة والدهاء لمواجهة هذا الخطر، إلى جانب القوة العسكرية. وكلف بعض أتباعه ملاحقة قادة الفتنة والتخلص منهم نهائياً وقد نجح في ذلك، وأخمد

---

(1) السلطان أبو السعادات محمد بن السلطان قايتباي، تولى الحكم عام 891هـ / 1496م وكان صغير السن، استمر في الحكم حوالى ثلاث سنوات، مات مقتولا عام 904هـ / 1498م، العاصمي ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (ج4 / 60)؛ السيوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (ج1/ 254).

(2) الأمير قانصواة خمسمائة من مماليك الأشرف قايتباي، ترقى إلى أن أصبح دوا دار ، ثم أمير أخور، وكان من كبار الأمراء المماليك في مصر زمن السلطان محمد أبو السعادات، السخاوي ، الضوء اللامع (ج199/6).

(3) الأمير أقبردي الأشرف قايتباي ويقال أنه ابن عمه وقريبه، ترقى إلى أن أصبح دوادار، السخاوي ، الضوء اللامع (ج2 / 315).

(4) البصروي ، تاريخ البصروي (ج 1/ 204).

(5) البصروي : المرجع نفسه (ج 1/ 204).

(6) ابن طولون الصالحي : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (ج 1 / 141).

فتنة كادت أن تطيح بحكمه[1].

ب- ثورات الامراء و الولاة زمن دولة المماليك البرجية في بلاد الشام:

ركز معظم السلاطين في حكمهم على مصر لأنها مركز الحكم كما سبق الذكر، وتركوا حكم بلاد الشام للأمراء الذين يثقون بهم، وأصحاب النفوذ والقوة هناك، وقد استغل بعض الأمراء والنواب وجود السلطان وكبار الأمراء في مصر وحاولوا السيطرة على الحكم وعزل السلطان، بإعلان الثورات والعصيان والعمل على الاستقلال في بلاد الشام، أو التوجه لمصر وإسقاط السلطان، وقد نجح البعض في تحقيق ذلك وفشل البعض وهذا حسب الأمراء أصحاب الثورات وحسب قوة وضعف السلطان، وأحوال البلاد الاقتصادية والسياسية ومدى رضى الشعب عن السلطان ومن حوله، **ومن هذه الثورات ما يلي:**

1_ ثورة الأمير يلبغا الناصري نائب حلب ضد السلطان الظاهر برقوق (791هـ/1389م):

وقع خلاف بين الأمير يلبغا الناصري نائب حلب، وبين الأمير سودُن المظفري[2] أحد كبار الأمراء المماليك في الشام، اشتد هذا الخلاف حتي وصل للعامة، وعندما وصل للسلطان برقوق[3] الخبر، أرسل رسالة إلى الأمير تلكتمر المحمدي الدوادار في حلب للإصلاح بينهما وأمره بقتل الناصري إن رفض الصلح، وكان السلطان طلب من الناصري القدوم للقلعة لكنه رفض، بحجة الخوف من وقوع الفتن، وهذا لم يقنع السلطان، علم الناصري بمضمون رسالة السلطان، فدبر مكيدة وقتل الأمير سودُن المظفري، وقبض على الحاجب، ثم توجه إلى القلعة وسيطر عليها، واستدعى التركمان والعربان، وأعلن الخروج على السلطان برقوق[4]، قدم الأمير منطاش إلى الناصري معاوناً له وداخلاً في طاعته[5].

---

(1) ابن طولون الصالحي، المصدر نفسه (ج 1 / 141).

(2) الأمير سودن المظفر الجركسي، كان من كبار النواب في الشام، وتقل الكثير من المناصب المهمة، المقريزي، السلوك (ج5 / 149 – 155).

(3) الظاهر برقوق أبو سعيد الجركسي العثماني، من مماليك الأمير طشتمر العلائي، وكان أمير أربعين ثم ترقى إلى أن وصل إلى القلعة وأصبح الرجل الأول فيها، ثم عزل السلطان وسيطر على الحكم، عام 784هـ/1382م، ثم عزله الأمير يلبغا الناصري والأمير منطاش وبعد التغلب على حكم منطاش عاد للحكم عام 792هـ/1390م، السخاوي، الضوء اللامع (ج3/2).

(4) المقريزي، السلوك (ج 5 / 216).

(5) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 216).

بعث الأمير تلكتمر إلى السلطان وأخبره بخروج الناصري عن الطاعة، واجتماع الناس حوله وكتب السلطان إلى الأمير سيف الدين أينال اليوسفي أتابك دمشق بنيابة حلب، وجهز إليه التشريف والتقليد، واجتمع السلطان مع القضاة والأعيان وأهل الدولة من الأمراء وغيرهم، وحدثهم بعصيان الناصري واستشارهم في أمره، فتم الاتفاق على إرسال عسكر لقتاله[1]، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، جاءت الأخبار بقيام بعض المماليك المنفيين بالقبض على الأمير سيف الدين أسندمر نائب طرابلس، ودخلوا في طاعة الناصري[2]، وهكذا يكون أمر الناصري قد ازداد قوة في بلاد الشام، وأن السلطان يحتاج إلى جهد وقوة أكبر للتصدي لخطره الذي أصبح يهدد نفوذه هناك، ووجوده على العرش في مصر.

اجتمع السلطان بالأمراء، وأخذ منهم العهد والبيعة على القتال، وأغدق عليهم الكثير من الأموال، كلاً حسب رتبته العسكرية[3]. ثم جاء الخبر بأن الأمير سيف الدين بيرم العزي الحاجب بحماة دخل في طاعة الناصري بعد أن سيطر عليها[4]، ودخول معظم أمراء الشام والمماليك اليلبغاوية، والأشرفية، والأمير سولى أمير التركمان والأمير نعير[5] أمير العربان، في طاعته أيضاً، واتفقوا على محاربة السلطان، وسيطروا على جميع القلاع ما عدا قلعة دمشق وبعلبك[6] والكرك، وعند وصول تلك الأخبار لمصر كثرت الاضطرابات بالقاهرة[7]. وخرج الجيش المصري لمواجهة الناصري، ثم جاءت الأخبار بدخول بعلبك والكرك في طاعته، وأن بعض مماليك دمشق فروا إليه[8]، وهذا دليل على سيطرته على بلاد الشام، ثم جهز الجيش وتوجه به إلى مصر لمحاربة جيشها، الذي هزمه، وتمكن من السيطرة على القلعة هناك[9].

بعد سيطرة الناصري على البلاد، قبض على السلطان برقوق ونفاه الى الكرك، ثم استدعى الأمراء وشاورهم فيمن ينصب في السلطنة حتى استقر الرأي على إقامة الصالح حاجي بن

---

(1)المقريزي، السلوك (ج 5 / 216).

(2)المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 217).

(3)المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 217).

(4) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 217).

(5) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مانع بن حديثة شمس الدين أمير آل فضل بالشام ويعرف بنعير، قتل في حلب وهو في السبعين من عمره، السخاوي : الضوء اللامع (ج10 / 204).

(6) بعلبك من أكبر وأقدم مدن بلاد الشام تقع إلى الشرق من مدينة دمشق بالقرب من ساحل البحر المتوسط، الحموي : معجم البلدان (ج1 م 453).

(7) المقريزي، السلوك (ج 5 / 218).

(8) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 218).

(9)المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 218).

الأشرف[1]، "فإنه خلعه برقوق بغير موجب فصعدوا من الإسطبل إلى الحوش بالقلعة واستدعوه وأركبوه بشعار السلطنة من الحوش إلى الإيوان وأجلسوه على تخت الملك ولقبوه بالملك المنصور وقلده الخليفة أمور الناس على العادة وقبل الأمراء الأرض بين يديه . ودقت البشاير وقام إلى القصر وسائر أرباب الدولة بين يديه" [2]. ونودي في الحال بالقاهرة بالأمان والدعاء للملك المنصور والأمير يلبغا الناصري، وكان الحكم في يد الناصري ولا يملك الملك المنصور شيئاً من الحكم، حتى قيل "انه لم يملك اختيار خياطه"[3]، وهكذا أصبح الأمير يلبغا الناصري الحاكم الفعلي للبلاد.

2_ ثورة السلطان برقوق في بلاد الشام بعد خلعه من حكم مصر على يد الامير يلبغا الناصري والامير منطاش عام (791هـ / 1389م):

بعد سيطرة الأمير يلبغا الناصري على الحكم في مصر، نفى السلطان الظاهر برقوق إلى الكرك، واستمر هناك حتى تغير الحال في مصر وانقلب الأمير منطاش عليه، وسيطر على الحكم، وأصبح للأمير منطاش الكثير من الأعداء، إضافة إلى المشاكل الاقتصادية، والأمنية، وعدم الاستقرار بسبب الثورات والانقلابات المتكررة في البلاد، والوباء الذي حصد الآلاف من الأرواح، والحرائق التي اجتاحت البلاد قبل فترة ليست بعيدة، أدت هذه الأحداث المتلاحقة إلى إفلاس خزينة الدولة[4]،وإلى مشاكل كبيرة في الاقتصاد، انعكست على الشعب بالسلب، والذين كرهوا حكم الأمير يلبغا الناصري ومن بعده الأمير منطاش، الذين فضلوا مصالحهم الشخصية على مصالح الشعب والبلاد.

استغل السلطان برقوق اجتماع أهل الكرك حوله، وعدم قدرة نائب الكرك والمسؤولين مواجهة العامة الذين هبوا لنصرته، فأعلن الثورة على الأمير منطاش المستبد بحكم مصر دون السلطان المنصور، وانضم إليه الكثير من العامة والعربان، الذين أجبروا المسئولين في الكرك على الوقوف على الحياد، والذين اكتفوا بإعلام السلطة في مصر باجتماع العامة حول السلطان الظاهر برقوق، ووصفوهم بالسفهاء، وعن نية السلطان الظاهر برقوق بالخروج إلى دمشق بعد مراسلات بينه وبين الأمراء فيها، الذين أكدوا دخولهم تحت طاعته، ورفض سيطرة الأمير منطاش على

---

(1) المنصور الصالح حاجي بن الأشرف، أجلسه على العرش يلبغا الناصري بعد أن عزل السلطان الظاهر برقوق، وعندما عاد الظاهر برقوق إلى الحكم من جديد، عزله وجلس على العرش، العكري ، شذات الذهب في أخبار من ذهب (ج7 / 6).

(2) المقريزي، السلوك (ج 5 / 234).

(3) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 242).

(4) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 220 – 250).

الحكم[1].

عندما زاد عدد أنصار الظاهر برقوق، عزم على الخروج لإبراز قوته، فحاول المسؤولون في الكرك منع التواصل بينه وبين أنصاره الذين تجمعوا خارج القلعة بإغلاق أبوابها عليه، ولكنهم فشلوا في ذلك بسبب إصراره على الخروج[2]، وبعد خروجه اجتمع مع بعض المماليك الظاهرية والذين كان معهم الكثير من العربان والكثير من أهل الكرك، وتوجه نحو دمشق[3]، وقد تصدى له الأمير جَنتمُر أخو طاز نائب دمشق، في منطقه قرب دمشق تسمى شقحب، واستطاع الأمير جَنتمُر هزيمة السلطان الظاهر برقوق أكثر من مرة بعد قتال شديد بينهما، وبسبب صمود قوات الظاهر برقوق تحولت الهزيمة إلى نصر، وأجبر الأمير جَنتمُر على الانسحاب إلى دمشق، وتحصنوا بالقلعة[4].

أثناء حصار دمشق، تعرضت قوات الظاهر برقوق للهجوم من قبل قوة أرسلها نائب دمشق الأمير جَنتمُر أخو طاز، لمنع وصول بعض المماليك الظاهرية القادمين من حلب، حيث أرسلهم الأمير كمشبغا لإمداد قوات الظاهر برقوق، لكن نائب دمشق فشل في تحقيق هدفه، ووصل المماليك الظاهرية إلى الظاهر برقوق[5]؛ فزادت قوته، لكنها تعرضت أيضاً للهجوم من قبل الأمير نعير الذي قاد أعداداً كبيرة من العربان، فهزمهم وغنم الظاهر برقوق الكثير من الأموال والخيل، واستمر الظاهر برقوق في حصار دمشق وقتال أميرها، حتى وصل الخبر بذلك إلى منطاش[6]، وبدأت مراحل الصدام بين السلطان الظاهر برقوق والأمير منطاش، وبعد صراع كبير بين الطرفين والذي استخدم في كل طرف ما استطاع من قوة ، استطاع الظاهر برقوق هزيمة الأمير منطاش والعودة للحكم من جديد .

3_ ثـــورة الأمـــراء فـــي بـــلاد الشـــام علـــى الســـلطان المظفـــر أحمـــد والاميـــر ططـــر (824هـ/1421م):

بعد وفاة السلطان المؤيد شيخ[7] أصبح ابنه أحمد سلطان البلاد، ولُقب بالسلطان المظفر

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 5 / 259).
(2) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 259 – 260).
(3) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 260).
(4) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 260).
(5) المقريزي، المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 260).
(6) المرجع السابق (ج 5 / 260 ، 261).
(7) السلطان المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي الظاهري، كان شجاع مقدام يحب أهل العلم، حكم البلاد أكثر من ثمان سنوات، توفى عام 824هـ/1421م، المقريزي ، السلوك (ج7 / 25 – 27).

أحمد[1]، سيطر الأمير ططر[2] على الحكم، وأصبح صاحب الكلمة الأولى في البلاد، وبدأ سياسة الإقصاء لكثير من الأمراء، بالسجن أو النفي أو غيرها من الإجراءات[3]، تمهيداً للسيطرة على الحكم وعزل السلطان المظفر أحمد[4]، اعترض بعض الأمراء على السياسة التي اتبعها الأمير ططر، واجتمعوا بالشام وقرروا القضاء على نفوذه، وأعدوا لذلك ما استطاعوا من قوة وسلاح وأتباع، عندما وصل الخبر بذلك للأمير ططر، وما اتفق علية أمراء الشام، قرر تجهيز حملة عسكرية إلى بلاد الشام للقضاء على الأمراء الذين اعلنوا الخروج عن الطاعة، وقد ساعده في القضاء على هذه الفتنة اختلاف أمراء بلاد الشام، ودخولهم في صراع فيما بينهم وانقسامهم إلى قسمين مما أدي إلى تمكن الأمير ططر من القضاء على ثورتهم وهزيمة من تبقى ضده بسرعة كبيرة[5].

4_ ثورة الامير تغري برمش نائب حلب ضد السلطان الظاهر جقمق (842هـ/1438م):

منذ وفاة السلطان الأشرف برسباي عمل الأمير تغري برمش[6] على ترتيب الأسباب في سبيل سيطرته على الحكم، لكنه أجل الخروج، اعتقاداً منه أن الأمراء في حلب سيعارضونه لأنه تركماني وليس من جنسهم[7]، وقام باستدعاء بعض الأمراء التركمان لتحقيق هدفه في السيطرة على الحكم، فأجابه الكثير منهم، واجتمع حوله الكثير من الأتباع[8]، " وكان تغرى برمش من رجال الدهر عارفاً بتدبير أموره جيد التصرف وعنده عقل ومكر وحدس صائب وتدبير جيد وهمه عالية"[9]، لكن ذلك في أمور الدنيا، أما في أمور الدين فقد كان جاهلاً في كثير منها، ولا يجالس

---

(1) السلطان المظفر احمد بن السلطان المؤيد شيخ المحمودي، اصبح سلطان البلاد بعد وفاة أبيه، توفي عام 834هـ/1421م في الاسكندرية، المقريزي ، السلوك (ج7 / 217).

(2) الظاهر سيف الدين ططر، كان من صغار مماليك استاذه في الشام، وعندما وصل مصر ترقى في المناصب حتى أصبح أتابك، ثم مهد لنفسه حتى أصبح سلطان البلاد عام 824هـ/1421م بعد عزل المظفر أحمد، لكنه لم يستمر في الحكم غير 95 يوماً، حيث مرض وتوفي في نفس العام، السخاوي : الضوء اللامع (ج4 / 7).

(3) العسقلاني ، إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ (ج 7 / 406، 407).

(4) السخاوي ، الضوء اللامع (ج4 / 7).

(5) العسقلاني ، إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ (ج 7 / 406، 407).

(6) تغري برمش وقيل تغري ورمشبن أحمد، اسمه الأول حسين، تولى نيابة حلب عام 839هـ/ 1445م، قتل عام 842هـ/ 1448م، السخاوي ، الضوء اللامع (ج3/ 35).

(7) ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة (ج 15 / 284).

(8) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج 15 / 284).

(9) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج 15 / 284).

علماء الدين، مما جعل العامة تنفر منه وتكرهه، وتعمل على التخلص من سيطرته في أقرب فرصة[1].

عندما كثر عدد أتباع الأمير برمش، وحصل على الأموال اللازمة، أسرع في الخروج على السلطان جقمق، خوفاً من قيام أمراء حلب المؤيدين للسلطان الذين أرادوا القبض عليه، بعد أن علموا بنيته تلك، فأسرع في الخروج وسيطر على بعض مناطق حلب، وأخذ يستميل الأمير خطط نائب قلعة حلب فلم يتم له ذلك، فعمل على أخذها بالحيل، وعندما علم الأمير خطط بتلك الحيل وخيانة بعض المماليك، اجتمع مع أمراء حلب واتفقوا على المبادرة في قتاله قبل أن يداهمهم داخل القلعة، وتقاتل الطرفان خارجها، واستطاع الأمير تغري برمش هزيمتهم، وتشتت الكثير من الأمراء في بلاد الشام، ونجح الأمير تغري برمش في السيطرة على حلب[2] دون قلعتها التي بقيت تحت سيطرة الأمير خطط، حاول الأمير تغر برمش زرع الفتنة داخل القلعة، عن طريق التواصل مع بعض المماليك هناك، لكن الأمير خطط اكتشف أمرهم فقتلهم، وبسبب تخوف أهل حلب من قيام التركمان بنهب البلاد، ثاروا على الأمير تغري برمش، رغم وعوده لهم بالأمان، وهاجموا أتباعه بكل قوة، ورغم قوته الكبيرة من حيث العدد والعدة، فقد انهزم شر هزيمة رغم كثرة الأتباع والأموال تعجب الناس لها، وهرب بسبب جبنه وخوفه، وعدم تمكنه من إدارة المعركة بشكل جيد[3]، فالدهاء يحتاج إلى الشجاعة لجني الثمار، والقوة تحتاج إلى قائد ذو شجاعة وخبرة عسكرية. بعدها توجه مع بعض أتباعه إلى طرابلس[4].

5_ ثورة الأمير اقبردي الدوادار زمن السلطان الناصر محمد أبو السعادات بن قايتباي عام (904هـ/ 1499م) :

بعد القضاء على ثورة الأمير قانصوه خمسمائة بمساعدة أقبردي الدوادار، زاد طمع الأخير في السيطرة على الحكم، وتوجه من غزة إلى مصر يريد القضاء على حكم السلطان الناصر محمد بن قايتباي، وقد وصل القلعة وحاصرها وضربها بالمكاحل[5]، وانضم إليه العديد من المماليك[6]،

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 15 / 284).

(2) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج 15 / 286).

(3)ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج15 / 290-295).

(4)ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج15 / 286).

(5) مصطلح أطلق في العهد المملوكي على المدفع، حيث كان يوضع فيه كحل البارود مع فتيل صغير لينفجر ويقذف على الهدف المراد تدميره، حلاق، حسان و صباغ ، عباس، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية، (ص209).

(6) ابن طومان الصالحي ، مفاكهة الخلان (ج 1 / 147)؛ البصروي ، تاريخ البصروي (ج 1/ 204).

تصدى له حرس القلعة وبعض المماليك الجلبان، ولكن عددهم لم يكن كافياً للتصدي للقوة التي يمتلكها أقبردي الدوادار، فرفع السلطان علمه عند باب القصر ونادى مناديه : "من كان يطيع الله ورسوله ، فليأت إلى علم السلطان"[1]، فاجتمع الكثير من أتباع السلطان حوله، وانهزم أقبردي الدوادار، وهرب بما استطاع أن يحمل من الأموال والسلاح مع أنصاره، راجعاً إلى بلاد الشام، وهناك بدأت مراحل الصراع تشتد بين الطرفين[2].

عند هروب أقبردي الدوادار صادر السلطان الناصر محمد أبو السعادات كل ما كان تحت سيطرته من أموال وإقطاعات وأسلحة وغيرها، وأرسل خلفه قوة عسكرية بقيادة الأمير قانصواة الألفي[3] والأمير كرتباي الأحمر[4] ، الذين تحالفوا مع بعض مشايخ البلدان هناك وحرضهم على التصدي لأقبردي الدوادار وقتاله، واجتمع الكثير من الفئات ضد أقبردي الدوادار، وذلك بسبب ظلمه وممارساته السابقة ضد كل من تعامل معه، والتي نفرت العامة والأمراء منه، ودفعهم للعمل على منعه من الوصول إلى الحكم بكل ما استطاعوا من قوة[5].

اجتمع أتباع السلطان من الأمراء والمماليك والعامة وكثير من العربان والمشايخ، مثل شيخ نابلس، وحاصروا أقبردي الدوادار قرب غزة، لكنه تمكن من الهرب إلى دمشق[6]، وقبل وصوله إلى هناك بدأ نائب الشام الجديد الأمير أينال الفقيه، بإعداد العدة والتجهيز لقتاله، وتحالف مع مشايخ العربان، وتقرب من معظم فئات الشعب بحضور حفلاتهم وعروض الخيالة التي يقيمونها، ومنح كبارهم، والمشايخ المناصب والأموال[7]، ويبدو أن نجاح التحالف الذي حدث في غزة، دفع إلى تحالف جديد مماثل له في دمشق، على الرغم من عدم تمكن التحالف في غزة من القضاء على أقبردي الدوادار وأتباعه نهائياً، إلا أنه استطاع طرده من غزة وما حولها، ومنع تحالف هؤلاء مع أقبردي الدوادار ضد السلطان.

ما لم يحدث في غزة حدث في دمشق، حيث تمكن أقبردي الدوادار، من التواصل مع نائب

---

(1) البصروي ، تاريخ البصروي (ج 1/ 204).

(2) ابن طومان الصالحي ، مفاكهة الخلان(ج 1 / 147)؛ البصروي ، تاريخ البصروي (ج 1/ 204).

(3) الأمير قانصواه الألفي كان من مماليك الأشرف قايتباي، ترقى في العديد من المناصب حتى أصبح أحد المقدمين، السخاوي ، الضوء اللامع (ج6 / 199).

(4) الأمير كرتباي الأشرف قايتباي من أقارب السلطان قايتباي، كان من كبار الأمراء المماليك، توفى عام 889هـ/1455م، السخاوي ، الضوء اللامع (ج6 / 227).

(5) ابن طومان الصالحي ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (ج 1 / 149) .

(6) ابن طومان الصالحي، المصدر نفسه (ج 1 / 150) .

(7) ابن طومان الصالحي، المصدر نفسه (ج 1 / 151) .

الشام الجديد الأمير أينال الفقيه[1]، واتفقوا على الخروج على السلطان معاً وتقسيم السلطة بينهم[2]، وهكذا أصبحت القوة التي جمعها الأمير أينال الفقيه ضد أقبردي الدوادار في صالحه، وضد السلطان الناصر محمد أبو السعادات، بذلك خسر سيطرته على معظم بلاد الشام، وخاصة مركزها في ذلك الوقت مدينة دمشق، قد يتساءل البعض ماذا يريد الأمير أينال الفقيه من السلطة أكثر من حكم بلاد الشام التي تمثل شطر البلاد، وهو شرعي وتحت حكم السلطان الذي يمتلك الشرعية ومعظم فئات الشعب، والإجابة الطمع في أن يصبح سلطان، –وفي وقتنا الحاضر نجد من يمتلك المناصب الكبرى يخرج على الحاكم، لشهوة السلطة التي لا حدود لها–، وقيل أنه كان هناك اتفاق مسبق بين الطرفين، على أن يكون أينال الفقيه السلطان، ولكنه أخفى ذلك للسيطرة على دمشق[3]، المهم هنا هو اتفاق كل من أينال الفقيه و أقبردي الدوادار ضد السلطان.

اجتمع أتباع أينال الفقيه وأقبردي الدوادار في منطقة المصطبة قرب دمشق واعلن أينال الفقيه، أن الخلاف بين الأمير أقبردي الدودار وبين دودار السلطان وليس بينه وبين السلطان نفسه، وأن السلطان راضٍ عن أقبردي الدوادار الذي ما زال أمير سلاح، ومهد لدخوله دمشق مع أتباعه، للسيطرة عليها، وكانت هذه مكيدة من أينال الفقيه، وقد صدقها الكثير من أتباع السلطان في دمشق، وهذه المكيدة لم تمنع حدوث صدمات بين أتباع أينال الفقيه أقبردي الدودار وحامية دمشق، وقتل فيها عدد من الطرفين، ثم جاء مرسوم من السلطان بتعين الأمير جان بلاط[4] على نيابة الشام وعزل أينال الفقيه، واتضح للناس كذبه، وعاد أتباع أينال الفقيه أقبردي الدودار إلى منطقة المصطبة، وتولى النائب الجديد إدارة بلاد الشام في ظل هذه الثورة والفوضى العارمة، وبدأ خطوات التصدي لهذه الفتنة، حتى تم التخلص منها، بفضل مساعدة الشعب ووقوف العامة مع السلطان[5].

---

(1) أينال الفقيه الظاهري جقمق، من كبار الأمراء المماليك، ويسمي أينال باي الفقيه، السخاوي ، الضوء اللامع (ج2 / 330، 331).

(2) ابن طومان الصالحي ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (ج 1 / 151) .

(3) ابن طومان الصالحي : المصدر نفسه (ج 1 / 153) .

(4) جان بلاط الأشرف قايتباي، ترقى في المناصب حتى أصبح نائب ملطية ثم دواداراً صغيراً، ثم أمير عشرة، ثم أمير أربعين، وكان رسول الدولة إلى العثمانيون، السخاوي : الضوء اللامع (ج3 / 62) .

(5) ابن طومان الصالحي : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (ج 1 / 153 ، 154) .

الفصل الثاني

الأساليب السياسية في التعامل مع الثورات زمن الدولة المملوكية (648هـ-923هـ/1250م-1517م)

الفصل الثاني

الأساليب السياسية في التعامل مع الثورات زمن الدولة المملوكية

(648هـ-923هـ/1250م-1517م)

المبحث الأول: الأساليب السياسية ضد الثورات الشعبية:

اختلفت أساليب الحكام والمسؤولين في التعامل مع الثورات، والانقلابات والفتن الداخلية، فكل ثورة لها ظروفها الخاصة حسب قوة الدولة أو ضعفها، وحسب الاحوال السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، وحسب قدرات الخصم، فبعض الثورات كان يُقضى عليها قبل بدايتها وبكل سهولة بسبب تمكن الحكام وقدراتهم الأمنية الكبيرة، أو بسبب خارج عن إرادة الجميع، مثل الكوارث الطبيعية، وانتشار الطاعون، كما حدث مع السلطان المؤيد شيخ، عندما أراد السلطان المخلوع الناصر فرج الثورة عليه لاسترجاع الحكم مع المماليك الظاهرية، ولم يستطيعوا فعل ذلك بسبب انتشار الطاعون وموت الناصر فرج عام 820هـ/1417م[1].

استخدم السلاطين المماليك، الكثير من الأساليب والحيل في التعامل مع الثورات التي قام بها الشعب، أو التي قام بها بعض الأمراء والنواب وغيرهم من أصحاب النفوذ السياسي والعسكري، فقد استخدمت الأساليب العسكرية بأشكال مختلفة، واستخدمت أيضاً السياسة والخدعة بأشكال كثيرة وبأوجه مختلفة، وتعامل السلاطين وأمراء المماليك مع الثورات الشعبية، بأساليب تختلف عن تعاملهم مع ثورات الأمراء والقوة العسكرية، سواء في طبيعة الأسلوب، أوفي نوعها، فقد يكون الأسلوب نفسه لكن الإجراءات كانت تختلف بين الثورات الشعبية وثورات الأمراء، وهذا طبيعي فالثورات الشعبية التي تعتمد على الاحتجاجات والمظاهرات، تختلف عن ثورات الجيش والقوات العسكرية، التي تعتمد على السلاح والقوه المباشرة التي يقوم بها الجيش أو جزء منه.

أولاً- أسلوب الترغيب والترهيب:

من أهم الأساليب التي اعتمد عليها السلاطين والأمراء في التعامل مع الثورات الشعبية أسلوب الترغيب والترهيب، مستغلين حاجة الناس للأموال لتأمين حاجاتهم الأساسية من غذاء، وملبس، ومسكن، وغير ذلك، ومستغلين الشعب نفسه أو بعض الفئات غير السوية وهم موجودون في معظم الأزمنة والبلدان، فيرغبوهم بمنحهم الكثير من الأموال، ويرهبون البعض من أصحاب المبادئ والأكثر ثباتاً، والأكثر مقاومة للإغراءات المادية عن طريق القوة العسكرية والأمنية.

---

(1) العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر (ج 7 / 273)

أسلوب الأميرين بيبرس الجاشنكير وسلار في التعامل مع ثورة العامة (الحرافيش) تأييداً للسلطان الناصر محمد عام (707هـ / 1308م):

بعد أن ضجتّ القاهرة بثورة العامة في محاولة التصدي للثورة على السلطان الناصر محمد، بقيادة الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير سلار، خرج الكثير من فئات الشعب تأييداً للسلطان الشرعي الناصر محمد بن قلاوون، حيث انتشرت الثورة في الكثير من المناطق، واجتمع كثير من فئات الشعب حول القلعة لنصرة السلطان، حتى أن بعض المماليك قد شاركوا في هذه الثورة مثل المماليك الناصرية، إلى جانب العامة، منهم الأمير سيف الدين سموك شقيق سلار، الذي أسرع بالتحرك ليقمع هذه الثورة بالقوة المباشرة، دون الرجوع واستشارة الأمراء الكبار[1]، الذين منعوه من فعل ذلك، خوفاً من الهزيمة أمام العامة والمماليك الناصرية، وهذا يدلل على قوة الثورة ضدهم [2]، ويدلل على حكمة هؤلاء الأمراء والمسؤولين، الذين أدركوا أن استخدام القوة المباشرة قد يزيد هذه الثورة، ففضلوا التعامل معها بحكمة، وبالطرق السياسية مدعومة بالقوة العسكرية، مستخدمين الترهيب والترغيب.

كان الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير سلار وأتباعهم، يدركون جيدًا عدم ضمان عواقب استخدام القوة المباشرة والقمع، فلجأوا إلى أسلوب ترهيب آخر أقل عنفًا، فأرسلوا الأمير بتخاص المنصوري مع مجموعة من فرسان المماليك، فنزلوا إلى العامة ينحونهم ويضربونهم بالدبابيس بدلاً من استخدام السيوف لتفريقهم، وهذا يمنع وقوع عدد كبير من الضحايا، لكن العامة أصروا على البقاء، والاستمرار في الثورة، واشتد صياحهم قائلين: "يا ناصر يا منصور"[3]، وزاد عدد المتظاهرين، وأخذوا يدعون للسلطان محمد بن قلاوون، قائلين "الله يخون الخائن الله يخون من يخون ابن قلاوون"[4]، وهم يتهمون الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير سلار بخيانة السلطان والعمل على الاستبداد بالحكم، فتصدت القوات العسكرية لهم بالدبابيس، وهذا يشبه أسلوب قمع المتظاهرين في الوقت الحالي بقوات فض الشغب باستخدام العصي التي لا تؤدي إلى القتل، ويتضح مما سبق أن فرقة الأمير سموك، غير مختصة في التعامل مع مثل هذه الأحداث، ومن الواضح أن بتخاص

---

(1) المقريزي، السلوك (ج414/2)
(2) المقريزي، السلوك (ج414/2) ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة (ج8/ 173)
(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج173/8)
(4) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج173/8)

عسكري يجيد التعامل مع الثورات الشعبية، وهذا ما دفع الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير سلار، إلى تغيير قيادة القوات العسكرية.

وعندما تكاثرت جموع المتظاهرين، خشي الأمير بتخاص المنصوري من هذا التكاثر، فاستخدم أسلوب الترغيب بعد فشل أسلوب الترهيب، فأخذ يلاطف العامة ويتحدث معهم بأسلوب المحب للسلطان، قائلاً لهم: "طيبوا خاطركم فإن السلطان قد طاب خاطره على أمرائه[1]"، ولم يتفرق العامة إلا بعد أن أقسم لهم أن السلطان بخير وقد رضي عن الأمراء، وعاد الأمير بتخاص المنصوري إلى الأميرين بيبرس الجاشنكير وسلار، وأوضح لهم أن عامة الناس تقف قلباً وقالبًا مع السلطان، فاضطر إلى التراجع عن الثورة، عن طريق استخدام أسلوب الترغيب مع العامة، والتراضي مع السلطان خوفاً من زيادة غضب العامة عليهم[2]، وأرسلوا إلى السلطان أنهم تحت طاعته وأنهم مماليكه[3]، فكانت ثورة الشعب أهم سبب لإفشال محاولة السيطرة على الحكم وعزل السلطان.

من خلال ما سبق يتبين جلياً أنّ أسلوب الترغيب، والتقرب من الشعب والعامة والتعرف على مطالبه، الذي استخدمه الأمير بتخاص المنصوري كان أكثر نجاحاً، من أسلوب الترهيب والعنف والقوة المباشرة، فالأسلوب الأخير أنهى الثورة بدون دماء وقد عادت الحياة السياسية والهدوء مرة أخرى من جديد لمصر بفضل سياسة الترغيب التي استخدمها بتخاص مع الشعب، قد خدع الشعب وبدأ الأميران بالتحكم بالسلطان واستبدوا بالحكم من جديد، حتى دفعوا السلطان الناصر محمد للتنازل عن الحكم والتوجه للكرك[4].

ثانياً : استخدام الشعب في الثورات:

الدعم الشعبي مهم جداً للحكام واصحاب النفوذ والسلطة، وإنْ كان مزيفاً، واليوم نرى مدى حرص الحكام في استقطاب العامة إلى جانبهم، مستخدمين الإعلام وعلماء الدين والخداع وغير ذلك، فقد حرص الكثير من الأمراء والسلاطين في الدولة المملوكية –الأولى البحرية والثانية

---

(1) المقريزي السلوك (ج414/2 ، 415) ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج173/8)

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج173/8)

(3) المقريزي، السلوك (ج414/2 ، 415) ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج173/8)

(4) انظر الفصل الأول ثورات الأمراء في بلاد الشام.

البرجية-، على استغلال بعض الفئات من الشعب، لتحقيق بعض المكاسب السياسية، والتصدي لأي خطر يهدد حكمهم ونفوذهم، بالأخص الثورات والمشاكل والفتن الداخلية خاصة الشعبية منها، فقد حاول الكثير التصدي لبعض الثورات والاحتجاجات بثورات مضادة، وهذا ما رأيناه اليوم في التصدي لما يعرف بثورات الربيع العربي، فقد استعان الحكام بأنصارهم، وعملوا على إخراج بعض الفئات المهمشة للتصدي للثورات الشعبية، وقد نجح البعض في ذلك، كما حدث زمن دولة المماليك البحرية والبرجية.

-تعامل مع ثورة العامة (الحرافيش) بالتحالف مع الأمير أيدغمش ضد الأمير قوصون الذي استبد بالحكم زمن السلطان علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون (742هـ/1341م):

كان الأمراء المماليك يستخدمون العامة في الكثير من الثورات، للسيطرة على الحكم، ضد بعض السلاطين، أو من يسيطر على الحكم من الأمراء المنافسين لهم، كما كان يستخدمهم السلاطين أو من يحكم من الأمراء ضد بعض الثورات أو التمردات والانقلابات العسكرية[1].

استغل الأمير أيدغمش نقمة العامة على الأمير قوصون، لاستبداده بالحكم في عهد السلطان علاء الدين كجك بن الناصر محمد بن قلاوون، حيث جمع العامة وطلب منهم نهب أملاك الأمير قوصون، وعندما تصدى مماليك الأمير قوصون للعامة، ورموهم بالنشاب أمر مماليكه برمي مماليك الأمير قوصون بالنشاب، وترك العامة ينهبون أملاك الأمير قوصون وأملاك مماليكه وحاشيته، بل تركهم ينهبون الأسواق، "وزادت الأوباش حتى خرجوا عن الحد وشمل الخوف كل أحد فقام الأمراء على الأمير أيدغمش وأنكروا عليه تمكين العامة من النهب"[2] ، فأمر بعض مماليكه بالتصدي لهم بالقوة، وأجبروهم على التوقف بعد ضربهم بالمقارع، وصادروا الكثير من الأموال التي نهبوها، بل كان يتم اعتقال كل شخص يبيع الأموال الذهبية والأمتعة والكنوز التي تم نهبها أثناء الثورة ضد الأمير قوصون[3].

ومما سبق يتضح كيف استخدم الأمير أيدغمش العامة ضد خصمه قوصون، ثم كيف

---

(1) المقريزي، السلوك (ج349/3- 355).

(2) المقريزي، المصدر نفسه (ج3/ 355).

(3) المقريزي، المصدر نفسه (ج349/3- 355).

تعامل مع العامة بقوة، كما يوضح أنّ الثورات تحتاج إلى قوة تحميها، وإلى تنظيم حتي لا تتحول إلى عملية نهب وتخريب، وتنحرف عن مسارها وأهدافها، وتكون النتائج ضد الشعوب، ويستبدل مستبد مكان مستبد، أو ظالم متسلط مكان ظالم متسلط آخر، فيكون أشد تسلطاً واستبداداً، وهذا يحتاج إلى فهم ودراسة ووعي كبير لدى جميع فئات الشعب، ويجب على العامة أن تعلم مع من تقف وإلى جانب من، وما هي أهدافهم، غير المعلنة، وكثيراً ما خُدعت بعض الفئات من الشعوب حتي المثقفون والمتعلمون منهم، وحتي في وقتنا الحاضر في القرن الواحد والعشرين، وهذا بسبب عدم دراسة التاريخ كما يجب، لأخذ العبر والدروس من الأحداث الماضية، والعمل على تجنب الأخطاء السابقة في الوقت الحالي ووضع الخطط المناسبة للنهوض بالأمة مستقبلاً، وهذا ما فعلته وما زالت تفعله الحكومات والدول المتقدمة والتي تسعى دائماً للاستمرار في التقدم، في جميع المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وغيرها.

ثالثاً : أسلوب توزيع الأموال والهدايا على العامة:

استخدم بعض السلاطين والأمراء الأموال والهدايا، لكسب فئات الشعب إلى جانبهم، أو لتأجيل وقوع بعض الثورات، وأحياناً استخدمت الأموال لكسب الوقت، بإشغالهم بجمع الأموال حتى يتمكن من الهروب بسبب ضغط الجماهير، وهذا الأسلوب يكون في معظم الأوقات بعد نفاذ الوقت والأساليب الأخرى، واستخدم هذا الأسلوب في الكثير من الثورات، في زمن المماليك البحرية والبرجية.

أسلوب التعامل مع ثورة العامة الثانية ضد السلطان بيبرس الجاشنكير تأييد للسلطان الناصر محمد بن قلاوون عام (709هـ / 1309م):

حاول السلطان بيبرس الجاشنكير التصدي للعامة بعدة طرق من البداية، فقد طلب في البداية من الخليفة العباسي، إصدار بيان يؤكد فيه على وجوب طاعته شرعاً بصفته ولي الأمر، والوقوف إلى جانب السلطان بيبرس الجاشنكير، ضد الناصر محمد بن قلاوون، الذي خرج عن الطاعة بعد أن تنازل عن الحكم طوعاً، وقرأ هذا البيان في المساجد على العامة، لكن الناس رفضت ذلك البيان، وزادت الاضطرابات والاحتجاجات في البلاد، التي تحولت إلى ثورة، وأدرك السلطان بيبرس الجاشنكير أن أمره قد انتهى، وأنّ أيامه أصبحت معدودة، لأنّ الشعب خرج ضده وأصبح معظم الأمراء تحت سيطرة الناصر محمد بن قلاوون، وانضموا إلى الجيش القادم من بلاد

الشام، وهكذا يكون اجتمع عليه الشعب والجيش في نفس الوقت، ونسبة نجاح التصدي للناصر محمد ضعيفة جداً، فقرر حمل ما استطاع من الأموال والسلاح والخيل مع أتباعه والهروب من القلعة بأسرع وقت ممكن[1].

وكان الهروب إلى الصعيد قبل وصول جيش بلاد الشام، ولكن العامة الذين تجمعوا حول القلعة، منعوه من الخروج من القلعة بعد أن أغلقوا جميع الأبواب، حاول تفريقهم بالقوة لفتح الطريق للهرب لكنه فشل في تحقيق ذلك، فاستخدم الأموال لتفريق العامة وإشغالهم، وبدأ بنثر الأموال على العامة من القلعة، وفي أثناء انشغالهم بجمع الأموال، استطاع الخروج مع مماليكه حاملاً ما استطاع من الغنائم، والسلاح، والأموال وأخذ الخيل التي كانت تمتلئ بها القلعة، وتوجه إلى الصعيد[2].

ليس غريباً ميل الأمراء مع الناصر محمد بن قلاوون، فهو صاحب الحق في الحكم، ووريث والده المنصور قلاوون وأخيه الأشرف خليل، وإن الكريزما التي يتمتع به الناصر محمد، يفتقر إليها كثير من الأمراء منهم بيبرس الجاشنكير، الذي كان يطمع بالسيطرة على الحكم، مع مجموعة من خوشداشيته (زملائه)، ولكنهم كانوا يفتقرون للخبرة السياسية، ولم تتضح لديهم أي خبرات سياسية، كالناصر محمد بن قلاوون، والجدير ذكره أن قدرات بيبرس الجاشنكير العسكرية تفوق قدرات الناصر محمد بن قلاوون، كان عامل الدهاء هو الفيصل بين الرجلين الناصر والجاشنكير وقد نشأ في دولة المماليك قوتين عسكريتين لهما نفوذ سياسي كبير في البلاد، وبينهما صراع سياسي كبير استمر سنوات انتهى بالقضاء على حكم دولة المماليك البحرية، ونشأت دولة المماليك البرجية فيما بعد، ويمكننا تسمية هذا الصراع بصراع الأجيال، فالأمراء والقادة الجدد يعملون على سحب الصلاحيات من القادة القدماء الكبار، للسيطرة على السلطة والتحكم في الثروات، واليوم نرى هذا الصراع وسط المؤسسات العسكرية التي تفرض الهيمنة على الكثير من الدول العربية وغير العربية.

---

(1) المقريزي، السلوك (ج349/3- 355).

(2) المقريزي، المصدر نفسه (ج349/3- 355).

رابعاً : اسلوب المقاومة الثقافية:

إذا كان الخلل في الفكر والثقافة، فإنّ استخدام القوة المباشرة، سيؤدي إلى المزيد من التعصب، ولن يجني الطرفان إلاّ المزيد من الضحايا والخسائر، فالفكر والثقافة يجب أن تواجه بالفكر والثقافة، كثير من المناطق التي يحمل سكانها أفكاراً وثقافة تختلف مع فكر وثقافة الدولة تكون خنجراً في ظهرها، خاصة إذا كان الاختلاف في الدين، لذلك يجب استخدام سلاح الثقافة وإقناع الطرف الآخر بالفكر، وهذا الأسلوب يحتاج، إلى جهد ووقت كبير جداً، ويحتاج إلى حكمة وذكاء، ويجب ابتكار أساليب جديدة، تؤدي إلى الوصول إلى الغاية، هذا ما حدث في زمن الدولة المملوكية البحرية والبرجية في التعامل مع الكثير من القضايا، والفتن، والثورات، والاحتجاجات الداخلية التي كانت تهدد النظام الحاكم.

أسلوب التعامل مع ثورات أهل النوبة المتكررة في جنوب مصر:

كان سكان النوبة جنوب مصر يختلفون دينياً عن مصر وبلاد الشام، بل كانت تشكل مملكة شبه مستقلة عن مصر وبلاد الشام، وكانت تسبب الكثير من المشاكل والاضطرابات في مصر، وأحياناً كانت هذه المشاكل والاضطرابات تأتي في أوقات صعبة في الدولة، فقد تكون البلاد عُرضة للخطر الخارجي، أو في ظل انتشار الفوضى والفتن الداخلية والانقسامات التي تؤدي إلى الصراع السياسي والعسكري، والكثير من السلاطين المماليك أرسلوا القوات العسكرية، لحل هذه المشكلة والتغلب عليها، لكن كانت الجيوش تسيطر عسكرياً على النوبة، وتعين حاكماً موالياً لها وتترك حامية بسيطة فيها وتعود إلى قواعدها، فلا يعقل أن تبقى في تلك المناطق باستمرار، لكن سرعان ما تعود الاضطرابات والعصيان من جديد، وعندما يعود الجيش يجد العصاة قد هربوا، بل أحيانا يجد بعض المدن قد هرب جميع سكانها، وهكذا كانت مصدر قلق كبير جداً للسلطة الحاكمة[1].

بعد فشل الطرق العسكرية في التعامل مع هذه الفتن والثورات وانفصال النوبة عن الحكم في مصر عدة مرات، عمل السلاطين المماليك على تعيين حكام على هذه المنطقة، يحملون فكر الدولة العربية الإسلامية، وتربوا في مصر واعتنقوا الإسلام، وشربوا الثقافة الإسلامية، وقد ساعد هؤلاء الحكام هجرة الكثير من القبائل العربية إلى بلاد النوبة، واستقرارها فيها مما ساعد في عملية

(1) عبدة، قاسم، الايوبيين والمماليك التاريخ السياسي والعسكري (ص 187).

التحول الثقافي، وأصبحت تلك المنطقة عربية إسلامية إلى وقتنا الحاضر، وتخلى معظم سكانها عن الديانة المسيحية وأصبحوا مسلمين، يشاركون في جميع الأحداث التاريخية إلى جانب الدولة العربية الإسلامية، وبفضل المقاومة الثقافية والتعامل مع المشكلة بشكل صحيح، أصبح هؤلاء سيفاً يحمي المسلمين بعد أن كانوا خنجراً في ظهر الأمة الإسلامية فجهاد الكلمة لا يقل أهمية عن جهاد السيف، والعلماء وأصحاب الفكر أهم من السياسيين والقادة العسكريين في كثير من المواقف والأزمات[1].

هذا يوضح لنا ما يمكن تحقيقه بالثقافة وتوضيح الفرق بين الفكر الصحيح والفكر الخاطئ، وأنه لا يمكن حل جميع المشاكل والأخطار بالقوة العسكرية المباشرة، بل أن هناك الكثير من المشاكل التي لا يمكن حلها إلاّ بالأساليب الفكرية، ونحن اليوم نعاني من الكثير من المشاكل الفكرية، ويوجد الكثير من شباب الأمة يحمل أفكاراً مشوهة، وشكلوا جماعاتٍ كبيرة تقوم بأعمال تسيء للإسلام والمسلمين، وقد استغلهم الأعداء لمحاربة الأمة الإسلامية، وتحقيق أهدافهم الخبيثة بأيدي أبناء المسلمين أنفسهم، لذلك يجب على علماء الأمة العمل لمواجهة هذا الفكر بالفكر الصحيح، ويجب عليهم قول الحق، وتوضيح الفرق بين من يحمل الفكر الصحيح ومن يحمل الفكر المشوّه، وإن خالفوا الحكام وأصحاب النفوذ.

---

(1) عبدة، قاسم، الأيوبيين والمماليك التاريخ السياسي والعسكري (ص 187).

المبحث الثاني: الأساليب السياسية ضد ثورات الأمراء:

تمهيد:

قوة السلطان أو ضعفه كانت تحدد طريقته وأسلوبه في التعامل مع الأخطار التي تهدد سلطانه، فقد يكون السلطان لا يمتلك القوة الكافية للتعامل مع الثورات والانقلابات العسكرية، وقد يكون الوقت غير مناسب لاستخدام القوة، وتمثل هذه القوة سلاحاً ذو حدين، فإن استخدمها السلطان وفشل ستكون نهايته القتل أو السجن أو النفي، فكان يختار في هذه الظروف الحل السياسي، ويمكن أن تتدخل القوة العسكرية لإسناد الحلول السياسية، والأساليب السياسية التي تعامل بها السلاطين المماليك مع ثورات الأمراء والانقلابات العسكرية للقادة العسكريين والنواب والولاة متنوعة وكثيرة، **ومنها ما يلي:**

أولاً : أسلوب التفاوض مع الخصم:

لجأ بعض السلاطين والأمراء المتحكمين في السلطة، لأسلوب التفاوض مع الخصم، من أجل إيقاف الثورات والفتن الداخلية، وكان نجاح أو فشل هذا الأسلوب مرتبط بقوة السلطان أو ضعفه، ومن الأمثلة على هذا الأسلوب في عصر دولة المماليك:

أسلوب التعامل مع ثورة الأمراء ضد السلطان السعيد محمد بركة بن الظاهر بيبرس عام (673هـ / 1274م):

من الأساليب التي استخدمها السلاطين المماليك، في التعامل مع الثورات والتمردات، أسلوب التفاوض مع الخصم، ولكن هذا الأسلوب لا يمكن أن ينجح إذا كان السلطان ضعيف ويتفاوض دون أن يملك قوة عسكرية أو سياسية، وكان السلاطين يلجأون إلى هذا النهج بعد نفاذ ما لديهم من الأساليب، كما فعل السلطان السعيد محمد بركة بن بيبرس في التعامل مع ثورة الأمراء المماليك عليه، وخلعه من الحكم، حيث حاول استخدام ما يملك من مماليك، كما حاول جمع العربان حوله بإغرائهم بالأموال، ولكنهم عندما شعروا بالخطر انفضوا من حوله، وتركوه قبل دخول الأراضي المصرية، على حدود غزة[1]، عندما قدم من الشام، فلجأ للتفاوض ووعد الأمراء بالمناصب وغير ذلك لكنهم رفضوا هذه الإغراءات، فهم من يملك القوة، ومن يملك القوة يملك القرار، هذا في كل مكان وزمان، فالحق لابد له من قوة تحميه، هذا الدرس الذي يجب أن يتعلمه

(1) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر (ج 1 / 7 – 9)، النويري، نهاية الأرب (ج 30 / 252).

كل من يريد النجاح في هذا المجال، وأصحاب الحق هم أحق الناس بذلك، ولنا أسوة حسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: "الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بها[1]".

بعد أن استطاع السلطان السعيد بركة دخول القلعة، حاصره الأمراء ومماليكهم، فلم يجد حلاً غير التواصل معهم، وطلب منهم التنازل عن الحكم مقابل تركه التوجه إلى الكرك دون أن يتعرضوا له بالأذى، وقد تصالح معهم على ذلك، وخرج إلى قلعة الكرك، القوية والغنية بالأموال، التي تحتوي على الكثير من مصادر الثروة[2]، وبهذا يكون قد استطاع الحفاظ على حياته، فلو استمر في مقاومة الأمراء المماليك، لوقع الكثير من الخسائر في الطرفين، وكانت جميع الدلائل تشير إلى هلاكه، وهكذا يكون قد خرج من الأزمة بما أمكن تحقيقه وبأقل الخسائر وتحقيق ما استطاع من مكاسب.

ثانياً : أسلوب الإغراءات المالية والهدايا :

استخدم بعض السلاطين الإغراءات المالية والهدايا ومنح الإقطاعات للأمراء الثوار، ومنحهم المزيد من العطاء، من أجل التوقف والتراجع عن ثوراتهم، وكانت تنجح بعض هذه المحاولات وتفشل الأخرى، كما كان يستخدم هذا الأسلوب الثوار أنفسهم، من أجل استمالة الأمراء المحايدين لجانبهم.

1- أسلوب التعامل مع ثورة الأمير علم الدين سنجر الحلبي ضد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري عام (658هـ/ 1260م):

لم يبدأ السلطان الظاهر بيبرس باستخدام القوة ضد ثورة الأمير علم الدين سنجر الحلبي، رغم خطورتها، فقد جاءت في وقت الصراع مع المغول الذي لم ينته بانتصار المسلمين في عين جالوت عام (658هـ/1260م) مباشرة، كما جاءت في دمشق المكان البعيد عن مركز الدولة

(1) الترمذي، سنن الترمذي (ج 5/ 51).

(2) الحلبي، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (ج1/ 88)؛ العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل(88/2)، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر (ج1/ 469)، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي (ج220/2)، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا (ج3/ 499)، القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة (124/2).

وعاصمتها القاهرة، وهذا يشكل خطراً كبيراً على نظام الحكم حديث الولادة، ويهدد بإعادة فصل بلاد الشام عن مصر من جديد، فهذا الموقف يحتاج لضبط النفس والحكمة والذكاء، والشجاعة، وهذا ما اتصف به السلطان الظاهر بيبرس البندقداري[1].

هذا الموقف الخطير للأمير علم الدين سنجر الحلبي، الذي جاء في وقت خطير في بداية تولي السلطان الظاهر بيبرس الذي يعاني من مشاكل داخلية مثل ثورة الشيعة بقيادة الكوراني، وعدم زوال خطر التتار تماماً لم يدفع السلطان إلى الغضب والتهور، وإرسال الجيوش مباشرة، بل لجأ إلى استخدام الحكمة والتروي، وعمل على استمالة العامة والأمراء ضد سنجر الحلبي، و"بعث السلطان الملك الظاهر بيبرس الأمير جمال الدين المحمدي إلى دمشق ومعه مائة ألف درهم وحوائص وخلع بألفي دينار عينا ليستميل الناس على سنجر[2]"، فنتج عن ذلك خروج عدد كبير من الأمراء في بلاد الشام وخاصة دمشق، ضد الأمير علم الدين سنجر، وساندوا جيش الظاهر بيبرس البندقداري، بقيادة الأمير علاء الدين إيدكين البندقداري، ونادوا باسم السلطان الظاهر بيبرس فارتجت دمشق، مما أدى إلى نشر الفوضى والاضطرابات، وتحول الظروف لصالح السلطان الظاهر بيبرس، ودخل الرعب قلب الأمير علم الدين سنجر وأتباعه، فالأمير احتمى داخل قلعة دمشق، وأرسل أتباعه لمواجهة أنصار السلطان الظاهر بيبرس لكنهم انهزموا، فخاف على نفسه بعد زيادة أنصار السلطان الظاهر بيبرس، وهرب إلى بعلبك، ثم لحقت به قوات السلطان الظاهر بيبرس، وتم اعتقاله وإرساله إلى مصر مقيداً[3]. وهكذا استطاع السلطان الظاهر بيبرس التغلب على الثورة من داخلها، باستخدام الحكمة والأموال والهدايا، دون أن يخاطر بمواجهة عسكرية مباشرة من مصر، في تلك الأحوال الصعبة، التي تتمثل في الأخطار الخارجية من التتار والصليبين، والاضطرابات الداخلية في مصر.

ردة الفعل المتوقعة من السلطان الظاهر بيبرس، على الأمير علم الدين سنجر، القتل أو السجن لما فعل، كما ذكرت بعض المصادر أنه سجن، بأمر من السلطان الظاهر بيبرس، لمدة

---

(1) أبو الفداء ، البداية والنهاية (ج275/13).

(2) المقريزي ، السلوك (ج 1 / 525)، أبو الفداء ، البداية والنهاية (ج275/13).

(3) المقريزي، السلوك (ج 1 / 525 – 527).

طويلة ثم أُخرج من السجن زمن السلطان المنصور قلاوون[1]، ولكن الأرجح أن السلطان الظاهر بيبرس اكتفى بتوبيخه، وإظهار شناعة ما فعل[2]، وقد يظن البعض أن هذا تصرف غير مسؤول من السلطان الظاهر بيبرس، وقد يؤدي ذلك إلى اشتعال الفتنة من جديد، لكن بعد وقت قصير اتضح هدف السلطان بيبرس من مثل هذا التصرف، وتبين مدى حكمة السلطان الظاهر بيبرس حيث استفاد من خبرة الأمير علم الدين سنجر في القضاء على الكثير من المشاكل الداخلية والخارجية، عندما عينه نائباً على حلب، لو أنه قتله أو سجنه؛ لتسبب ذلك في ثورة أتباعه فهو من كبار أمراء المماليك، وله أتباع كُثر في مصر وفي بلاد الشام[3].

وهنا يتضح عبقرية السلطان بيبرس في التعامل مع الثورات والفتن والاضطرابات الداخلية التي حدثت ضده، ومتى يستخدم السياسة ومتى يستخدم القوة العسكرية، أو يستخدم الاثنين معاً، ليخرج بأقل الخسائر، ويستفيد من الثوار أنفسهم في تقوية نظام الحكم، خاصة أنه كان في وقت تكثر فيه الثورات والتمردات والاضطرابات السياسية في المنطقة، ولديه الكثير من الأعداء في الخارج والداخل، والمنافسين على الحكم.

2- تعامل السلطان الأشرف برسباي مع بعض الأمراء المماليك الطامعين في الحكم فترة حكمه (825- 841هـ / 1422- 1438م):

تعامل السلطان الأشرف برسباي مع بعض الأمراء والمماليك الذين حاولوا الخروج عن الطاعة بذكاء واستخدم الأموال من أجل السيطرة عليهم ومنع انتشار الفوضى في البلاد، فقد قام بزيادة رواتبهم وأعطياتهم، ومنع تلك الفتنه[4]، وهكذا قضى السلطان برسباي على الفتنة قبل ظهورها. هذا الدرس لم يتعلمه السلطان الظاهر جقمق كما يجب، عندما طالبه بعض الجند بالزيادة في مرتباتهم الشهرية، عند تعيينه سلطاناً للبلاد عام 842هـ، لم يلتفت لهم، فاجتمعوا ضده وطلبوا من الأمير قرقماس الطامع في الحكم قيادتهم ضد السلطان الظاهر جقمق، ووقع القتال بين الطرفين وقتل عدد من الطرفين قبل هزيمة قرقماس والقبض عليه، وقد استخدم السلطان الأموال أيضاً في القضاء

(1) الصفدي، الشعور بالعور (ج141/1).
(2) المقريزي ، السلوك (ج 1 / 525 - 527).
(3) الصفدي ، الشعور بالعور (ج141/1).
(4) العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر (ج 8 / 192).

على خروج الأمير قرقماس عن الطاعة بالإنفاق على الزعر الذين بالغوا في القتال مع السلطان، وكانوا سبباً في هزيمة قرقماس[1].

3- تعامل السلطان الظاهر جقمق في القبض على السلطان المخلوع العزيز يوسف (842هـ/1438م):

مع انشغال السلطان جقمق في التجهيز لحملة عسكرية للتوجه لبلاد الشام، بسبب خروج الأمير تغري برمش نائب حلب، وخروج الأمير أينال الجكمي نائب الشام في دمشق، جاء خبر هروب السلطان المخلوع العزيز يوسف من مكان احتجازه، وقد وقع هذا الخبر كالصاعقة على السلطان جقمق، وأتباعه ومن وقف معه من المماليك والأمراء في السيطرة على الحكم[2]، وقد يكون سبب هذا الخوف عدم تمكن السلطان جقمق من الحكم في مصر ومعارضة الكثير من الأمراء له، وطمعهم في الحكم، وخروج الأمير أينال الجكمي والأمير تغر برمش في الشام، فأصبح بين المطرقة والسنديان، فاذا اجتمع الأمراء حول العزيز يوسف في مصر، مع المشاكل والاحداث في الشام، ستكون نهاية حكمه لا محالة.

حتي لا يحدث ذلك بدأ السلطان الظاهر جقمق وأتباعه بحملة كبيرة جداً لإلقاء القبض على السلطان المخلوع، استخدموا فيها الكثير من الأساليب أهمها الإعلان عن الجوائز المالية والإقطاعات والرتب في الوظائف، للأمراء والمماليك والعامة الذين سعوا بكل جهد للقبض على السلطان المخلوع العزيز حيث تم إلقاء القبض عليه وإرجاعه إلى السجن من جديد واطمأن السلطان الظاهر جقمق لذلك[3]. وقد يكون هذا الأمر في ظاهره بسيط، ولا يحتاج إلى مثل هذا القلق والخوف، لكن وجود السلطان المخلوع العزيز يوسف في الخارج، يعطي الكثير من الأمراء الطامعين في الحكم، فرصة لاستغلاله للوصول إلى الحكم، قبل تمكن السلطان الظاهر جقمق من السلطة.

4- تعامل السلطان جقمق مع ثورة الأمير قرقماس(842هـ / 1438م):

منذ بداية الصراع بين الطرفين، كان من الواضح الفرق بين قدرات السلطان جقمق والأمير

---

(1) العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر (ج 9 / 42).

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 15 / 300 - 302).

(3) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج 15 / 302).

قرقماس، فقد كان الأمير قرقماس يمتلك الكثير من المماليك، والقوة العسكرية، حتي ظن الكثير من الناس أن نهاية أمر السلطان جقمق مسألة وقت لا أكثر، وكانت الغلبة في البداية للأمير قرقماس[1]، لكن السلطان جقمق كان يتفوق على الأمير قرقماس في كيفية إدارة المعركة، وكسب الأمراء إلى جانبه، واستغلال العامة في هذا الصراع، باستخدام توزيع الأموال والذهب على المماليك والعامة والكثير من فئات الشعب، فقد أرسل السلطان جقمق أتباعه، "على سور القلعة تنادى من كان في طاعة السلطان فليحضر وله من النفقة كذا وكذا . ونثر مع ذلك السلطان من المقعد على العامة ذهبًا كثيرًا"[2]، قد استخدم هذا الأسلوب في كثير من مراحل الدولة المملوكية وقبلها وبعدها، حتى في وقتنا الحاضر فإن بعض الحكام والمسؤولين يستخدمون هذا الأسلوب بطريق غير مباشر، ويجمعون الناس بتوزيع الطرود الغذائية، حتى يدلل على قبوله من الشعب وأن الناس راضين عنه وعن حكمه ونظامه، ويتخذهم ذريعة لارتكاب المجازر بحق منافسيه وخصومه، والقضاء على أي فرصة للتغيير في الوضع القائم، وللأسف فإن كثيراً من فئات الشعب يخرجون إلى الشوارع ويهتفون لصالح هؤلاء الحكام، دون أن يعلموا خطورة هذه الخطوة وأنهم يشهدوا شهادة زور ويدعموا الظالمين.

تجمع المماليك حول السلطان الظاهر جقمق، وبدأ الكثير من أتباع الأمير قرقماس ينفضوا من حوله، ويدخلوا في طاعة السلطان الظاهر جقمق، وبدأت موازين القوة تتغير بين الطرفين لصالح السلطان الظاهر جقمق، الذي وقف على قدميه من جديد، وأخذ يحرض أصحابه على القتال، فأقبلت الفرسان من المماليك نحوه شيئًا فشيئا داخلة في طاعته وتركت الأمير قرقماس، والحرب مع هذا كله قائمة بين الفريقين ضرباً بالسيوف وطعنًا بالرماح إلا أن الرمي من القلعة على الأمير قرقماس ومن معه بالنشاب كان شديداً جداً[3]. وكان للعامة دور في القتال بعد أن وعدهم السلطان الظاهر جقمق بالعطاء والأموال، ووزع الذهب على بعض فئات الشعب[4]، الذين قاموا برمي الحجارة بالمقاليع على الأمير قرقماس وأتباعه، الذين أخذت أعدادهم في

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 7 / 386).
(2) المقريزي، السلوك (ج 7 / 386)، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج15/ 270).
(3) المقريزي، السلوك (ج 7 / 386).
(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 15 / 270).

التناقص، مع تزايد أعداد أتباع السلطان الظاهر جقمق، ولم يستطع الأمير قرقماس إدارة المعركة لصالحه، وفضل الهروب خاصة بعد تكاثر اتباع السلطان الظاهر جقمق من الشعب والمماليك، وبقي بعض المماليك الأشرفية مستمرين في القتال، الذين لم يستطيعوا الصبر على شدته حتي انهزموا، بسبب هذه الجموع من أتباع السلطان الظاهر جقمق[1].

يتضح لنا مما سبق أن السلطان الظاهر جقمق استطاع السيطرة على الأمر، من خلال استغلال المماليك والعامة، حيث خاطبهم باللغة التي يفهموها، لغة المصلحة الشخصية، وحب المال، مستغلاً الخلاف بين أتباع الأمير قرقماس، وحاجة الناس للأموال بسبب الأحوال الاقتصادية، والاجتماعية الصعبة، وما أشبه الأمس باليوم، فالكثير يستخدم حاجة الناس الاقتصادية لتحقيق المكاسب السياسية والعسكرية، ونحن في القرن الواحد والعشرين، وهذا يدلل على قدرة السلطان الظاهر جقمق في إدارة الأزمات، واستخدام الطرق التي يمكن من خلالها تفريق الخصم، وتقوية جانبه، رغم الفارق الكبير في القوة العسكرية، التي كانت تميل لصالح الخصم، وقد قوىّ السلطان الظاهر جقمق قوته العسكرية التي استخدمها في مواجهة الخصم، بتسخير الأموال.

بعد نهاية المعركة بين الطرفين بهزيمة الأمير قرقماس، عمل السلطان على ملاحقته حتى لا يصل إلى الشام[2]، وعمل على تطهير البلاد من أتباعه، وبحث في الرماد عن أي مصدر يمكنه إشعال الفتنة من جديد، فقد كانت الكثير من الثورات، والفتن الداخلية، والانقلابات العسكرية التي يُتمكّن من إخمادها والتعامل مع قادتها من قِبل الحكام في البداية، وتُترك جيوب الثوار وبعض قادتها دون اتخاذ الإجراءات المناسبة ضدهم، أدى إلى عودتها من جديد، في وقت آخر أو من مكان آخر، وتتجدد الأحداث وكانت أحياناً تنجح في تحقيق هدفها، أو تسبب خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، والعكس صحيح حيث إن كثيراً من الثورات الناجحة حتي في وقتنا الحاضر، تترك أتباع وأنصار النظام القديم دون أن تتخذ ضدهم الإجراءات المناسبة، ودون متابعة أمنية دقيقة، مما يعطيهم فرصة للقيام بثورة مضادة والعودة للحكم من جديد وبقبضة أشد وأقوى من الأول، لكن السلطان الظاهر جقمق استطاع القضاء على هذه الثورة واقتلاعها من

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 7 / 386).

(2) المقريزي، المصدر نفسه (ج 7 / 386).

جذورها، باستخدام الأسلوب الأمثل.

ثالثاً : إضعاف الطرف الثاني وتفريق مصادر قوته وإنشاء قوة مضادة له:

كان المماليك لهم نظامهم السياسي والعسكري الخاص بهم، فقد كان لكل أمير مماليكه وأتباعه، فلا يمكن التعامل معهم إلا من خلاله، وكان هؤلاء الأمراء في تنافس شديد فيما بينهم، ومن يجمع أكبر عدد يكون هو الأقوى، ومن أجل تحقيق ذلك، استخدم الأمراء جميع الأساليب الممكنة، لبناء قوة خاصة بكل منهم وإضعاف الطرف الآخر.

1_ أسلوب قلاوون في التعامل مع تمرد أمراء المماليك الظاهرية (678هـ/ 1279م) :

لم تكن هذه ثورة بالمعنى العام لمفهوم الثورة، بل يمكن تسميتها (الانقلاب الذكي)، حيث استخدم الأمير قلاوون قمة الذكاء والدهاء في السيطرة على الحكم، دون جهد عسكري أو أي صدام مسلح[1]، بل لم يجد أي معارضة في القصر .

بدأ الأمير قلاوون تنفيذ خطته قبل تولي السلطان سُلامش الحكم، عندما دبر خلع أخيه السلطان السعيد محمد بركة بن بيبرس، وعندما عرض عليه أن يكون سلطاناً رفض، وفضل الحكم بطريق غير مباشر، خوفاً من ثورة المماليك الظاهرية[2]، فهم كانوا أكبر قوة في مصر، وفضل أن يكون أتابك السلطان سُلامش الذي لم يبلغ من العمر سبع سنوات، فكان الأمر بيد الأمير قلاوون، والسلطان لا يملك أي قرار صغر أم كبر، واستمر عدة أشهر حتى تمكن من مفاصل الحكم، عزل السلطان سُلامش، وأُجلس على العرش[3].

قام الأمير قلاوون بتفريق المماليك الظاهرية بإرسالهم لحكم المناطق البعيدة عن مركز الحكم[4]، وبذلك يفرقهم عن بعضهم ويمنع التواصل بينهم، ويبعدهم عن مركز الحكم وعن أبناء أستاذهم، ثم بدأ يحيي قوة جديدة من المماليك الذين هُمّشوا قبل ذلك، وتفرقوا كثيراً حتى أن منهم من ترك العمل السياسي، فجمعهم وأكرمهم وأعطاهم المال، ومنحهم الهيبة من جديد، وعينهم في المناصب المهمة ليكونوا عوناً له، ضد المماليك الظاهرية، ومن غيرهم من الأمراء الكبار، فعندما

---

(1) الذهبي ، العبر في خبر من غبر (ج 5 / 318).
(2) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان (ج2 / 9)؛ اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج 4 / 189).
(3) اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ج 4 / 189).
(4) الكتبي ، فوات الوفيات (ج 2 / 225).

يعزل السلطان سُلامش بن الظاهر بيبرس سيقفون إلى جانبه[1]، وهذا ما تم له، حيث لم يجد منازعاً على الحكم في مصر، وسلم له معظم الأمراء المماليك.

وهنا يتضح ذكاء ودهاء وحنكة الأمير قلاوون في سيطرته على الحكم، دون الوقوع في صدام مع الأمراء والمماليك الظاهرية الذين كانوا يملكون مفاصل الحكم والسلطة في مصر وبلاد الشام، الذين كانوا سيرفضون جلوس الأمير قلاوون على الحكم بعد عزل السلطان السعيد بركة بن الظاهر بيبرس[2]، وقد استخدم هذا الأسلوب في وقتنا الحاضر في القرن الواحد والعشرين حيث أن الكثير من الثورات والانقلابات التي حدثت قام قادتها والمسؤولون عنها، بتعيين شخص لفترة انتقالية، وبعد التمكن من الحكم واستيعاب ردة الفعل الشعبية والرسمية، والتخلص من الخصم تماماً، يسيطرون على السلطة من جديد.

2_ ثورة الأمير جقمق ضد السلطان العزيز جمال الدين ابو المحاسن (842هـ/1438م) :

قام الأمير جقمق باستخدام الحيلة والدهاء في خداع السلطان العزيز جمال الدين، وكبار أمراء المماليك من حوله، ومن كان يقف إلى جانبه، وبدأ بالتفريق بين السلطان العزيز جمال الدين أبو المحاسن والمماليك الأشرفية، حيث عمل على إبعادهم عن القلعة مركز الحكم، مستخدما الضغط عليهم من خلال استغلال الشعب واتهامهم بالاستبداد بالحكم والضغط على السلطان في اتخاذ القرارات والتحكم في ثروات البلاد، ثم أخذ في إبعاد السلطان عن الحكم بعزله عن أنصاره بعدة طرق مثل السجن، أو النفي، أو بمنصب بعيد وغيرها من الوسائل والأساليب، وأحياناً تستخدم القوة العسكرية إذا لزم الأمر كما فعل في التخلص من المماليك الأشرفية، حتى تم له عزل السلطان وتعين نفسه سلطاناً للبلاد بكل هدوء بعد إضعاف السلطان العزيز جمال أبو المحاسن والتخلص من أصحاب النفوذ الذين توقع وقوفهم في طريقه للسلطة ويمكنهم أن يمنعوه من الجلوس على العرش[3].

استخدام الدهاء والحكمة في تحقيق الأهداف، من أهم مقومات النجاح والوصول للمكانة المطلوبة، وهذا يحتاج لخبرة ودراية كبيرة، وقوة سياسية وعسكرية تساند ذلك حتى يستطيع اختيار الأسلوب الصحيح في معالجة الأخطاء، وهذا ما ملكه الأمير جقمق وافتقر له السلطان العزيز

---

(1) المقريزي ، السلوك (ج 2 / 121).

(2) ابن سباط، صدق الأخبار(ج 2 / 469) .

(3) المقريزي : السلوك (ج 7 / 375 –380).

جمال الدين والمماليك الأشرفية في التعامل مع محاولة الأمير جقمق الناجحة في السيطرة على السلطة.

3_ ثورة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ضد السلطان بيبرس الجاشنكير وعودته للحكم عام (709هـ/ 1309م):

استخدم كل من الناصر محمد بن قلاوون وبيبرس الجاشنكير، الطرق السياسية والدبلوماسية، لكسب الأمراء والشعب ناحيته وإبعادهم عن الآخر، حاول بيبرس الجاشنكير الحصول على طاعة الأمراء وعامة الناس باستخدام الخليفة العباسي، الذي أصدر فتوى بوجوب طاعته، وحاول إقناع الأمراء بأن الناصر محمد قد تنازل عن الحكم، ومطالبته بالعودة إلى الحكم لا يجوز، وأن الناصر محمد يثير الفتنة، ويُعرض المسلمين للحرب الأهلية، التي يمكن أن تسبب هلاك الكثير من المسلمين، ولكن الناصر محمد كان أكثر دهاءً من بيبرس الجاشنكير، فقد أقنع أكثر الأمراء في الشام ومصر، حيث أرسل لهم يبين فضل أبيه عليهم، ويستعطفهم بأنهم من ربوه، وأن بيبرس الجاشنكير يريد التخلص منه بعد أن تنازل له عن الحكم، ويريد الكرك، ويريد تخليصه من مماليكه الموجودين عنده، وإن لم يساعدوه ويقفوا إلى جانبه سوف يراسل التتار ويذهب لهم، وقد ساعده على ذلك حب الناس له ونفورهم من بيبرس الجاشنكير، الذين قاموا بأكثر من ثورة ضده وأوضح لهم أنه تنازل عن الحكم بسبب استبداد الأمير بيبرس الجاشنكير بالحكم دونه، وأنه سلبه حقوقه في إدارة البلاد(1).

تفوق الناصر محمد بن قلاوون على بيبرس الجاشنكير، وكسب معظم الأمراء إلى جانبه، بالإضافة إلى العامة، وكون قوة كبيرة من بلاد الشام والأمراء الذين انضموا له من مصر بعد أن تخلوا عن بيبرس الجاشنكير، الذي لم يبق معه أحد غير مماليكه، بالإضافة إلى الثورة الشعبية ضده في مصر، فبدأ التفاوض مع الناصر محمد بتنازله عن الحكم مقابل الحصول على الكرك أو حماة أو صهيون، والذي أجابه بالقبول بإعطائه صهيون، لكن بيبرس الجاشنكير لم ينتظر قدوم الناصر وجمع الأموال والسلاح من القلعة وهرب نحو الصعيد(2)، ويبدو أن بيبرس الجاشنكير خاف من الناصر محمد، ولم يثق بالأمراء المماليك لأنهم قد غدروا به قبل ذلك، ففضل الهروب بما استطاع إلى الصعيد، فيكون له ملجأ يحتمي فيه مستخدماً الأموال والسلاح وأتباعه، لكنه فشل

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 2 / 432).

(2) المقريزي، السلوك (ج 2 / 432)؛ العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (ج2/46-49).

في ذلك وألقي القبض عليه، وقضي على حكمه وعاد الناصر محمد إلى الحكم من جديد[1] وجلس على العرش[2].

رابعاً : استخدام أسلوب الترغيب والترهيب:

من أنجح الأساليب التي واجه بها السلاطين المماليك الثورات، سواء كانت شعبية من قبل العامة، كما سبق الحديث في المبحث الاول، أو ثورة الأمراء كما سنرى، وهذا الأسلوب يحتاج لذكاء وحكمة وقدرة كبيرة لمعرفة متى يستخدم –العصا ومتى يرمي الجزرة–، خاصة مع الأمراء والنواب والقادة العسكريين، وأصحاب المناصب ذات النفوذ السياسية، الذين يملكون القوة اللازمة للتغير، ولديهم من الأتباع الكثير.

1_ ثورة الأمير شمس الدين أقوش البرلي العزيزي ضد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري (660هـ/1262م):

تعامل السلطان الظاهر بيبرس البندقداري مع ثورة الأمير أقواش البرلي بحكمة كبيرة، تدلل على ذكائه وخبرته الكبيرة في التعامل مع من حوله، سواء كان عدواً أو صديقاً، وكيف يمكن أن يستفيد من كل شخص، لذلك فضل السلطان الظاهر بيبرس سياسة الترغيب والترهيب، في التعامل مع هذه الثورة، فكان أحياناً يعطي الأمل للأمير أقواش البرلي في التراجع عن الثورة، والرجوع إلى طاعة السلطان، ومرة أخرى يضيق عليه الحال، وأخذ "يتحيل عليه بنوع من الاحتيال، حتى بذل الطاعة، ودخل فيها[3]"، وكان بجانب هذا الأسلوب السياسي القوة العسكرية على أرض المعركة تفرض سيطرتها على المناطق التي كان يسيطر عليها الأمير أقواش البرلي، حتى دفعه للتوجه نحو الحل السياسي والتراجع عن العصيان والدخول في طاعة السلطان، وعندما اجتمع به أكرمه، وتعامل معه بكل احترام وتقدير، وجعله مستشاراً خاصاً للسلطان[4]، لأنه يعلم إمكانات هذا القائد السياسية والعسكرية جيداً.

واستغل السلطان الظاهر بيبرس الظروف التي كانت محيطة بالأمير أقواش البرلي، مثل هزيمته من التتار في منطقة سنجار كما سبق الحديث، وخروجه من حلب إلى البيرة، وغير ذلك من الأحوال الصعبة التي مر بها[5]، وهنا يتضح الذكاء والقدرة على السياسة وحسن إدارة الأزمات،

---

(1) للتعرف على خط سير الناصر محمد من الشام إلى مصر أنظر ملحق رقم (5).

(2) المقريزي، السلوك (ج 2 / 432).

(3) العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ج 1 / 93).

(4) المقريزي، السلوك (ج545/1).

(5) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر (ج459/1).

التي يفتقرها الكثير من زعماء اليوم، في التعامل مع ما يدور حولهم من أحداث، وما يتعرضون له من مشاكل سياسية واقتصادية وغير ذلك.

2_ تعامل السلطان الظاهر جقمق في القبض على السلطان المخلوع العزيز يوسف ووقف ثورته قبل ان تبدأ(842هـ/1438م):

وعد السلطان الظاهر جقمق من ساعد في القبض على السلطان المخلوع العزيز يوسف بالإقطاعات والرتب والأموال، وفي نفس الوقت حذر من يساعده في الاختفاء أو التنقل أو تقديم أي نوع من المساعدة، بالعقاب الشديد، وأعلن أنّ دمه وماله مهدور، وعلى الجميع المساعدة في القبض على السلطان المخلوع، وبدأ حملة تفتيش واسعة، طالت الكثير من المنازل والمقابر والبساتين، وضواحي القاهرة والمدن المجاورة، وردة الفعل القوية على هروب السلطان المخلوع، والخوف والهلع الذي أصاب السلطان الظاهر جقمق ومماليكه، رغم صغر سنه هذا يدلل على خطورة الموقف، حيث شعر بالقلق والتوتر أكثر من خروج الأمير أينال الجكمي في الشام والأمير تغري برمش في حلب[1]، هكذا استطاع السلطان الظاهر جقمق التخلص من الخطر الذي كان يهدد عرشه من داخل مصر، فاستخدم السياسة والترغيب والخداع تارة، والقوة العسكرية والتهديد تارة، إلى أن قبض على السلطان المخلوع العزيز يوسف، بمساعدة المماليك والعامة نتيجة، لسياسة الترغيب والترهيب التي استخدمها[2].

ويبدو أن مصدر قلق السلطان الظاهر جقمق من هروب السلطان المخلوع العزيز يوسف، لم يكن العزيز نفسه، ولكن خوفاً من اجتماع بعض المماليك والأمراء الطامعين في الحكم حوله، والمطالبة بالحكم باسمه ومساعدته على الرجوع إلى السلطة، وفي هذا الوقت سيتم التخلص من السلطان الظاهر جقمق وأتباعه، إما بالقتل أو السجن أو النفي، ومن هنا كان لابد من احتواء هذه المشكلة، قبل تفاقمها وقبل خروج الأمور عن السيطرة.

وأسلوب الترغيب والترهيب الذي استخدمه السلطان الظاهر جقمق في التعامل مع هذه المشكلة الكبيرة وهذا الخطر الشديد الذي يمكنه إثارة الفتنة في مصر، مع الفتنة في بلاد الشام، أثمر عن القبض على العزيز يوسف، فقد انتشر الخوف بين الناس بشكل كبير جداً حتي تمنى الجميع القبض على العزيز والتخلص من هذه المشكلة، والتخلص من عملية التفتيش والملاحقات الأمنية الكبيرة، للكثير من المشكوك في أمرهم، وأدى هذا الخوف والضغط الشديد على الأمراء والعامة إلى التضييق على العزيز يوسف والتعرف على الأماكن التي يتنقل إليها، والقبض عليه

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 15 / 300-304).

(2) المقريزي، السلوك (ج7/ 375- 379)؛ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج15 / 300-304).

وتسليمه للسلطان[1].

خامساً : استخدام أسلوب الخطر الخارجي:

من الطبيعي أن يتحد الجميع عند تعرض البلاد للخطر الخارجي، إذا كان لدى الحكام والمسؤولين عن السلطة والمعارضة، انتماء لبلدهم ويحملون هم الشعب الذي يمكن أن يتعرض للأذى من هذا الخطر، لكن إن كان الحكام والمسؤولون هم الذين يمارسون الإبادة بحق شعوبهم، وانتمائهم لأسيادهم من الشرق والغرب، من أجل الاحتفاظ بعروشهم ومن أجل توريث هذا العرش لأبنائهم وأحفادهم، سيقفون مع الغزاة ضد شعوبهم ومصالح بلادهم، في كثير من الأحيان كان تعرض البلاد للخطر الخارجي، سبب في الوحدة وتراجع الثوار عن مطالبهم، وصفح السلطان عن خروجهم وتهديد عرشه، من أجل التصدي للخطر الخارجي، كما حدث في ظل حكم المماليك في مصر وبلاد الشام[2].

مع ثورة الأمير شمس الدين سنقر الأشقر في بلاد الشام ضد السلطان قلاوون:

بعض الثورات لابد من استخدام أكثر من أسلوب للقضاء عليها، خاصة إذا كانت قوية وكبيرة، مثل ثورة الأمير شمس الدين سنقر الأشقر في بلاد الشام، ويجب استغلال الأحداث والأحوال السياسية والأخطار العسكرية في ذلك، حتى تستطيع تحقيق الأمن والاستقرار في البلاد بأقل التكاليف الممكنة، المادية والبشرية، وهذا ما فعله السلطان قلاوون في التعامل مع ثورة الأمير شمس الدين سنقر الأشقر في بلاد الشام[3].

استغل التتار الانقسام داخل الصف الإسلامي، والحروب الداخلية لإعادة السيطرة على الأراضي الإسلامية في بلاد الشام، وقد ذكرت بعض المصادر أن الأمير شمس الدين سنقر لجأ إليهم لمساعدته ضد السلطان قلاوون، خاصة بعد هزيمته وخسارته في دمشق[4]، ومن الواضح أن هذا الادعاء غير صحيح، حيث أنّ الأمير شمس الدين سنقر اتحد مع باقي القوات الإسلامية للتصدي لهجوم التتار، ولم يستغل ذلك الحدث العظيم في إعادة السيطرة على دمشق، أثناء انشغال جيش السلطان قلاوون في محاربة التتار، ولو كان ذلك الادعاء صحيحاً لكان تعامل السلطان مع الأمير شمس الدين سنقر اختلف بعد انتهاء الخطر.

ومما سبق يتضح لنا دور الخطر الخارجي في توحيد المسلمين، عندما يتعرض الإسلام

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 15 / 300–316).

(2) للمزيد ينظر، أبو مصطفى، دور خطر المغول في توحيد المماليك.

(3) ابن الفوطي، الحوادث الجامع (ج1/ 286–291)؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج 2 / 20–24)

(4) اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج 2 / 20–24)

والمسلمين للخطر، وقد كان ذلك واضحاً في الكثير من المواقف في تاريخ دولة المماليك، خاصة ضد الخطر المغولي[1]، يجب على الجميع الحكام والمعارضة، أن يعملوا لمصلحة البلاد والمسلمين، وأن يدافعوا عن حقوقهم وحريتهم الدينية والدنيوية، وتكون المنافسة بينهم من أجل ذلك، ولكن اليوم نرى كثيراً من القادة والحكام المسلمين يُعرّضون البلاد والعباد للكوارث والمجاعات والتشتت، ويتسببون في إهدار ثروات البلاد، وإبادة شعوبهم، من أجل الاحتفاظ بالحكم، ويتحالفون مع أعداء الأمة ويمنعون التقدم ويقفون في وجه التنمية والنهضة، فاستغل الأعداء ذلك وجعلوا من هؤلاء الحكام أداة لمحاربة المسلمين وتحقيق غاياتهم الخبيثة في البلاد الاسلامية، ونحن لا نتعرض للخطر الخارجي فقط، بل إن الأمة الإسلامية ممزقة، وقلبها فلسطين المحتلة من الصهاينة ينزف ويئن لأفعالهم التي تدمر البشر والحجر والشجر كل يوم أضعاف سابقه.

سادساً : استخدام علماء الدين في إثارة الرأي العام على الخصم :

منذ القدم وحتى وقتنا الحاضر والناس يعطون رجال الدين وعلماء الدين أهمية كبيرة، وقد حرص الكثير من الحكام على كسبهم إلى جانبهم، سواء كانوا شرعيين والشعب راضٍ عن حكمهم أو مستبدين ويحكمون الشعب بالقبضة الحديدية، وقد كانت آراء رجال الدين سبب في كثير من الأحيان في تغيير مراكز القوة، والسلاطين في دولة المماليك البحرية والبرجية، والأمراء كانوا يأخذوا موافقة القضاة على البيعة بعد السيطرة على الحكم مباشرة، كما كانوا يأخذوا موافقة الخليفة العباسي[2]، وقد كان بعض الأمراء يطلبون الفتوى من العلماء للخروج على الحكام، كما فعل نائب الشام شيخ المحمودي، في خروجه على السلطان الناصر فرج[3]، وكان الكثير من السلاطين والأمراء يحرصون على أخذ الفتاوى بقتل بعض الخصوم، كما فعل –على سبيل المثال لا الحصر– السلطان الكامل شمس الدين، الذي أخذ الفتوى بقتل بعض الأمراء، والذي حرص على التقرب إلى العلماء والعامة[4]، وقد يكون ذلك، لكسب المزيد من الأتباع، أو لكسب الشرعية الدينية على خروجهم، ولم يتردد السياسيون والعسكر التابعين للحكام، في استخدام العلماء ورجال الدين في التصدي للثورات ضدهم وذلك كان واضحاً في العديد من الثورات.

---

(1) أبو مصطفى، محمد دور خطر المغول في توحيد المماليك.

(2) أبو الفداء ، البداية والنهاية (ج 14 / 48).

(3) العسقلاني ، إنباء الغمر بأبناء العمر (ج 6 / 137).

(4) الشيباني ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة (ج 1 / 280).

1_ التعامـل مـع ثـورة السـلطان الظـاهر برقـوق ضـد الأميـر منطـاش لاسـترجاع حكمـه (791هـ/1389م):

قام الأمير منطاش بجمع العلماء لأخذ الفتوى ضد السلطان الظاهر برقوق، حيث اتهمه بالقيام بكثير من الأفعال التي تنافي الدين الاسلامي والشريعة وتُعرض البلاد للخطر الخارجي، فادّعى أنّ السلطان الظاهر برقوق "استعان بالكفار على قتال المسلمين وحضر الخليفة المتوكل وقضاة القضاة الأربع وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني وولده جلال الدين عبد الرحمن قاضي العسكر وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء وولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون المالكي وسراج الدين عمر بن الملقن الشافعي وعدة دون هؤلاء بالقصر الأبلق من القلعة بحضرة الملك المنصور والأمير الكبير منطاش وقدمت إليهم الفتوى فكتبوا عليها بإجماعهم وانصرفوا"[1]. واليوم نرى الكثير من علماء السلطة، الذين باعوا دينهم من أجل التقرب للحكام والمسؤولين، وأصبحوا عوناً للحكام الظالمين المستبدين، واصبحوا أداة في يد هؤلاء الحكام يضربون الشعوب بهم ويقتلون الناس والمعارضة بفتواهم.

وقام الأمير منطاش باستغلال أموال الأيتام بإجبار العلماء ، على الفتوى بصحة أخذه، كما فعل مع قاضي القضاة صدر الدين محمد المناوي[2]، و من يرفض كان يتعرض للسجن والإهانة، فقد "طلب الشيخ شمس الدين محمد الركراكي المالكي وألزم بالكتابة على الفتوى في الملك الظاهر فامتنع فضرب مائة ضربة وسجن بالإصطبل"[3]. وأجبر البعض بدفع أموال الأيتام وبعض أموالهم مقابل عدم الخروج في الحملة العسكرية، مثل قاضي القضاة بدر الدين محمد[4]، ونسي قول الله تعالى" إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً"[5]، حتي رجال الدين النصارى واليهود لم يسلموا من ذلك، فقد أُجبروا على دفع الأموال لتجهيز الجيش، فقد " قبض على متى بطرك النصارى وألزم بمال وقبض على رئيس اليهود وألزم بمال، فتقرر على البطرك مائة ألف درهم وعلى رئيس اليهودي خمسون ألف درهم جبوها وحملوها"[6]، يتضح مما سبق أنّ الأمير منطاش كان همه توفير الأموال اللازمة للتصدي للظاهر

---

(1) المقريزي ، السلوك (ج 5 / 263 ، 264).

(2) المقريزي ، المصدر نفسه (ج 5 / 263 ، 259).

(3)المقريزي ، المصدر نفسه (ج 5 / 263 ، 265).

(4)المقريزي ، المصدر نفسه (ج 5 / 263 ، 266).

(5) سورة النساء (الآية 10)

(6) المقريزي ، السلوك (ج 5 / 263 ، 265).

برقوق، والاحتفاظ بالسلطة بكل الوسائل سواء كان ذلك على حساب الشعب وثرواته، أو على حساب الأيتام أو غير ذلك.

استخدام الدين في جمع الأنصار من عامة الشعب، من أهم الطرق التي عمل بها الكثير من الحكام والمسؤولين وأصحاب النفوذ عبر الأزمنة المختلفة، وهذه الطريقة لا تقل أهمية عن استمالتهم بالأموال، فان الشعب طوائف متعددة، يختلفون عن بعضهم من حيث الإمكانات المادية، والفكرية، والاجتماعية وغير ذلك، منهم من تكسبه بالمال، ومنهم من تكسبه بالمناصب والكراسي، ومنهم من يميل إلى الدين، وعلماء السلطان موجودون في كل زمان ومكان يعملون ليلاً ونهار من أجل مصالحهم الشخصية المرتبطة مع السلطان والمسؤولين، ولا يمكن لأحد إنكار قدرة رجال الدين في التأثير على كثير من عامة الشعب، فإن أصحاب السلطة اليوم في عصر التقدم العلمي والانفتاح والحرية وانتشار العلم يستخدمون علماء الدين لإضافة الشرعية لأطماعهم وسيطرتهم على رقاب الشعوب، فكيف ذلك في عصر مثل عصر الدولة المملوكية، خاصة في دولة المماليك البرجية، التي كانت تمر بظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية سيئة جداً في كثير من مراحلها المختلفة.

2_ دور العلماء في تحريض العامة في حلب للتصدي للأمير تغري برمش زمن السلطان الظاهر جقمق عام (842هـ/1438م):

العلماء في كل زمن ومكان قسمان قسم صاحب رأي سليم ويعمل على توعية الناس إلى طريق الخير وإن تعرض للأذى، وقسم يعمل على إرضاء السلطان والمسؤولين والنواب، وإنْ عرض الناس للأذى والضلال، وقد تأتي في بعض الأوقات مصلحة السلطان مع مصلحة العامة، ويكون للعلماء دور في مساعدة السلطان والعامة معاً، فعندما عاد الأمير تغري برمش للسيطرة على حلب بعد محاربته وطرده منها في بداية خروجه عن طاعة السلطان[1]، قام بحصارها واستخدم جميع الوسائل الممكنة للسيطرة عليها، وضرب أسوارها بآلات الحرب المختلفة كالمكاحل، ومنع وصول المياه إلى القلعة، من أجل تحقيق هدفه، وهنا برز دور العلماء في تحريض الناس على القتال والتصدي لهذا الخطر، وحثوا الناس على القتال وشجعوهم على الصمود وتحمل أعباء القتال، وكان لهم دور كبير في تثبيت الجبهة الداخلية في مدينة حلب، وأجبروا الأمير تغري برمش على الانسحاب مهزوماً بعد أن يئِس من إمكانية تحقيق تقدم في هذه المنطقة بفضل التصدي الشعبي له بعد أن دفعهم علماء الدين لذلك[2].

---

(1)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 15 / 333).

(2)ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج 15 / 334).

خلال حصار حلب ارتكب الأمير تغري برمش وأتباعه، الكثير من الجرائم ضد القرى وبعض المناطق في حلب، خاصة الواقعة خلف أسوارها، من أعمال نهب وسلب، وتدمير المزارع، والبساتين والكروم، والتمثيل في جميع من وقع في يده من اهل حلب، مثل القتل وتقطيع الأيدي وغيرها من الجرائم، فلم يكن هناك فرق بينه وبين جيش تيمور لنك[1]، ونرجح أن العلماء وأهل حلب كانوا يعلمون شخصية الأمير تغري برمش، وبعده عن الدين، وظلمه، لذلك كانت هذه المقاومة الشديدة فهم يعلمون أنّه إنْ دخل حلب سيفعل بها كما فعل في القرى والمناطق المجاورة لها، وهنا يأتي دور العلماء في حماية الناس عند تعرضهم للخطر، وإن كان ذلك يسبب لهم الضرر المباشر بالاعتقال أو السجن أو التعذيب أو غير المباشر مثل الحرمان من بعض المناصب والصلاحيات.

سابعاً : التظاهر بالثورة ضد السلطان لجمع الخارجين عن الطاعة والتعامل معهم:

الحرب خدعة، واستخدام الخدعة في الحروب الخارجية والفتن والثورات الداخلية أمر مهم عند الكثير من القادة والمسئولين والسياسيين، وقد استخدمت الخدعة منذ القدم إلى وقتنا الحاضر، فالخدعة من أهم الأساليب التي يمكن أن تستخدم في القضاء على الثورات خاصة الداخلية، والكثير وقع في مثل هذه الخدعة سواء في العصور السابقة، أو في الوقت الحاضر رغم التطور والتجارب والأحداث التاريخية المختلفة، وقد يكون السبب عدم الاهتمام بدراسة التاريخ والعمل على الاستفادة من تاريخ الأحداث السابقة عبر العصور المختلفة، وقد استخدم المماليك الخدعة السياسية والعسكرية في الصراعات فيما بينهم كثيراً، من أجل الوصول للسلطة أو من أجل الاحتفاظ بالحكم لأكبر وقت ممكن.

في محاولة السلطان برقوق في استرجاع حكم مصر من الامير منطاش (791- 793هـ):

استخدم الأمير الناصري والأمير وايتمش الخداع في القضاء على ما تبقى من المماليك المنطاشية، حيث ادعوا التنافس على السلطة وخروج الناصري على السلطان، ونادى أتباع الأمير منطاش لمساعدته، فحضر له أكثر من ألف ومائتين من المماليك المنطاشية، فقبض عليهم وسجنهم[2]، وقد يكون سبب نجاح الخدعة، خروج الناصري قبل ذلك على السلطان الظاهر برقوق، وتعاون الأمير منطاش معه، قبل الاختلاف الذي وقع بينهم[3]، وهنا تأتي حكمة الظاهر برقوق وقدرته في استخدام خصوم الأمس في محاربة خصوم اليوم، واستخدامهم كأداة في ضرب

---

(1)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 15 / 334).

(2) العسقلاني ، إنباء الغمر بأبناء العمر (ج 3 / 375).

(3) المقريزي ، السلوك (ج 5 / 263 ، 265).

الخصم، فالكثير من السياسيين الطامعين في الحكم والمناصب، قديماً وحديثاً، لا يؤمنون بالمبادئ والأخلاق، وإنما يعملون مع من يحقق مصالحهم.

الكثير من الناس حتي بعض المتعلمين، يستغرب بعض الأحداث والتحالفات السياسية في الوقت الحاضر، فقد نرى أعداء اليوم حلفاء الغد، ولكن دارس التاريخ كما يجب، والمؤرخ، يعلم ويتوقع تلك التغيرات، فهو قد عاش هذه التجارب قبل ذلك وفي معظم العصور، فإذا كان الانسان يعيش مرة واحدة، فإن دارس التاريخ يعيش مرات متعددة، فكلما درس حقبة من التاريخ عاشها، وأخذ منها الخبرة وتعلم منها ما هو جديد، وتعرف على الأحداث المختلفة، وعلم ان سحر المصالح يقلب الموازين والتحالفات، فصديق اليوم قد يكون عدو الغد، وعدو اليوم قد يصبح صديق الغد. من هنا تأتي أهمية دراسة التاريخ وأهمية الأساتذة المؤرخين الخبراء في هذا العلم، وأحد اسباب تقدم الغرب اليوم هو الاهتمام بالتاريخ وأخذ العبر والخبرات منه، والاستفادة منها، وقد يكون أيضاً أحد اسباب تراجع الأمة العربية الإسلامية، إهمالهم لعلم التاريخ، والاستهانة بدراسته والاعتقاد عند البعض ومنهم بعض المسؤولين والسياسيين للأسف، أن التاريخ مجرد قصص من الماضي لا تفيدنا في الحاضر والمستقبل، لذلك يكون ضحية للتجارب والأخطاء، ويسيرون في طريق سار بها من سبقهم، وأثبتت فشلها من قبل، ويقع في الحيرة والتخبط في التعامل مع كثير من المشاكل والأخطار التي تواجه الأمة، لكن الدارس لتاريخ الأمم وسيرة الحكام، السياسيين، والقادة يملك القدرة على الاختيار الأمثل والأقرب إلى الصواب.

ثامناً : الاستفادة من المحايدين وإبعادهم عن الخصم:

عمل الكثير من السلاطين المماليك على تخويف المماليك المحايدين في كثير من الأحداث، من الوقوف مع الثوار أو مع من خرج عن الطاعة، واستخدم نفس الأسلوب من قبل الثوار والأمراء الخارجين عن الطاعة، بتهديد بعض الأمراء بعزلهم ومصادرة أموالهم وأملاكهم في حال مساعدة السلطان المخلوع، وإلا سيعرضون أنفسهم للسجن أو القتل أو الحرمان من بعض المناصب السياسية والعسكرية ، وكان لهذا الأسلوب نتائج كبيرة في الصراعات الداخلية بين الأمراء المماليك، فقد كان الكثير منهم يفضل الوقوف على الحياد في هذه الصراعات إلى أن يسيطر طرف على السلطة فينضمون إلى جانبه دون أن يعرضون انفسهم ومصالحهم للخطر ويحتفظون بقوتهم.

كان الأمراء والمماليك الأشرفية وغيرهم من الأمراء، حريصين على مساعدة السلطان الظاهر جقمق في القبض على السلطان المخلوع العزيز يوسف، أكثر من السلطان الظاهر جقمق نفسه، وذلك لأنهم كانوا قد ساعدوا الظاهر جقمق في عزل العزيز يوسف والسيطرة على الحكم، فقد أيقنوا أنهم في حال عودة الحكم إلى العزيز يوسف سيتعرضون للكثير من المشاكل والتنكيل،

وسيخسرون مكانتهم ومناصبهم وأموالهم وغير ذلك، فقد طلبوا من الظاهر جقمق التخلص من العزيز يوسف قبل هروبه، ونصحوه بقتله لكنه رفض ذلك، فكان ذلك سبباً في تفاني هؤلاء الأمراء في العمل على القبض على العزيز يوسف والتخلص منه، وبدأوا بحملة اعتقالات واسعة ضد الأمراء والمماليك الذين يمكن أن يلجأ لهم العزيز[1].

تاسعاً : استغلال انشغال الثوار بالغنائم والتسرع للحصول على المكاسب المادية:

من أهم الأمور التي يجب أن تتوفر في الثورات الناجحة، تماسك الثوار والسير وفق خطة واحدة متفق عليها، وعدم تخليهم عن قادتهم، واتباع القيادة إلى آخر المشوار، وعليهم عدم التسرع في جني الثمار، قبل التخلص من الخصم وتثبيت أركان الثورة، وقد كان هذا التسرع والتفكك من أهم الأسباب في القضاء على الكثير من الثورات والسبب في فشلها، وقيام الثورات المضادة والانقلاب عليها وعودة الحكم القديم.

ثورة الأمير أينال الجكمي نائب الشام على السلطان الظاهر جقمق عام (842هـ/1438م):

استطاع الأمير أينال الجكمي هزيمة جيش السلطان، ودفعه للتراجع، بعد معركة كبيرة بين الطرفين، اجتمع فيها الكثير من العربان والعشير والمماليك، ولكن أتباع الأمير أينال الجكمي سرعان ما تفرقوا عنه، وانشغلوا في جمع الغنائم، والنهب والسلب، وتركوه في أعداد قليلة جداً، فكان صيداً سهلاً لجيش السلطان جقمق، وألحقوا به شر هزيمة، وتم القبض عليه وأنهى خطر كبير على السلطان الظاهر جقمق[2]، ووضع في سجن دمشق ثم تم قتله[3].

تختلف الأسباب التي تؤدى إلى مخالفة المسؤولين والقادة، فقد تكون اعتقاد الجنود أن المعركة قد انتهت، فيلقوا بالسلاح ويتجهوا لجمع الغنائم، وقد يكون السبب هو الهدف من خروج هؤلاء الجنود والأتباع، وهو الحصول على المكاسب والغنائم لا لنصرة القائد ولا للمصلحة العامة، وعندما يحصل على الهدف يترك المعركة والقائد، ويقوم بجمع ما استطاع منها، دون النظر للنتائج الخطيرة لمثل ذلك الفعل، والأرجح أن السبب الثاني هو ما دفع أتباع الأمير أينال الجكمي لتركه، حيث توجهوا لنهب القرى والمناطق التي سيطروا عليها وتركوا المعركة، فكان الأمير أينال الجكمي، ومن بقي معه فريسة سهلة لجيش السلطان الظاهر جقمق.

من الغرائب التي نشهدها اليوم أنّ مثل هذه الأخطاء مازال الكثير يقع فيها رغم تكرارها

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 15 / 300–304).

(2) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج 15 / 318,319).

(3) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج 15 / 325).

عشرات المرات عبر التاريخ الإسلامي، ولم يلتفت لها أصحاب الحق الذين قادوا الشعوب للعمل على التحرر، من الحكام الظالمين المستبدين، نجدهم قد تفرقوا من بداية المشوار، والمعارك السياسية طويلة وتحتاج نفس طويل لجني الثمار، وتحقيق أهدافها يحتاج إلى سنوات، خاصة إذا كان يواجه نظام له عشرات السنوات يسيطر على البلاد سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وإعلامياً وعلى جميع المجالات.

عاشراً : استخدام الخليفة لكسب نوع من الشرعية ضد السلطان:

كان للخليفة العباسي مكانه دينية في المجتمع الإسلامي خاصة في مصر وبلاد الشام، وقد كان السلاطين والامراء يهتمون بأخذ موافقة الخليفة العباسي لنيل الشرعية الدينية، وقد حرص السلطان الظاهر بيبرس البندقداري على إحياء الخلافة العباسية، بعد أن كانت الدولة الاسلامية بدون خليفة، منذ قتل المغول الخليفة العباسي المستعصم بالله، أوائل عام 656هـ حتي عام 659هـ، حين أحضر الظاهر بيبرس البندقداري المستنصر بالله أبو القاسم[1] إلى مصر وبايعه وأصبح الخليفة العباسي الثامن والثلاثون[2]، وقد استغل السلاطين والأمراء المماليك الخليفة لكسب المزيد من الشرعية والأنصار، في الصراع الداخلي، مقابل الأموال والإقطاعات والمكاسب المادية وغيرها. ورغم نفوذ الخليفة الروحي فلم يكن لهم من الأمر شيء فسايروا الظروف وخضعوا للأمراء المتحكمين، فكانوا يعزلون السلاطين ويولون غيرهم حسب طلب الأمير المتحكم[3]، ومع ذلك لم يسلموا من أذاهم فقد كان الأمير المتحكم يعزل الخليفة دون ان يتنازل وينصب غيره دون بيعته كما فعل الأمير أنبيك البدري أتابك العسكر مع الخليفة المتوكل على الله محمد عام 778هـ/1376م[4]. **ومن الثورات التي أُستخدِم فيها الخليفة:**

1_ ثورة الأمير أينال العلائي ضد السلطان المنصور عثمان عام (857هـ/1453م):

استغل الأمير أينال العلائي الخلاف بين السلطان المنصور عثمان والخليفة العباسي، وطلب من الخليفة سحب التفويض بالحكم من السلطان المنصور عثمان، وإعلان أن سلطان البلاد

---

(1) الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر بأمر الله محمد ابن الناصر لدين الله أحمد، بويع بالقاهرة بالخلافة بعد شغور الخلافة نحو سنتين ونصف بسبب غزو المغول للعراق وقتل الخليفة، وخرج الملك الظاهر بيبرس معه إلى بلاد الشام، توفى عام 660هـ/1262م، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج206/7).

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 7 / 110).

(3) الشرقاوي، مديحة، برسباي وسياستاهُ الداخلية والخارجية (ص7).

(4) الشرقاوي، مديحة، المرجع نفسه (ص7).

الأمير أينال العلائي، وجمع القضاة والأعيان وأعلن ذلك، فأكسبه بعض الشرعية، وأدى إلى اجتماع المزيد من الأنصار حوله، وساعد في انسحاب بعض الأمراء والمماليك من حول السلطان المنصور عثمان ولم يبق حوله إلاّ القليل من المماليك السلطانية، وكان ذلك من أهم الأسباب التي أدت إلى هزيمة السلطان المنصور عثمان، وتولي الحكم السلطان أينال العلائي وتلقب بالسلطان الأشرف أينال[1].

2_ ثـورة المماليـك الجلبـان والظاهريـة الجقمقيـة ضـد السـلطان الأشـرف إينـال عـام (859هـ/1455م):

حاول المماليك الظاهرية الجقمقية بعد انضمامهم للمماليك الجلبان، استغلال الخليفة في كسب المزيد من الأتباع، وإضفاء نوع من الشرعية على خروجهم على السلطان الأشرف أينال، كما فعل السلطان من قبل عند السيطرة على الحكم وخلع السلطان المنصور عثمان، وأرسلوا في طلب الخليفة العباسي القائم بأمر الله حمزة، الذي أجابهم بسرعة وأعلن تأييد الثورة ضد السلطان الأشرف أينال، بسبب طمعه في المزيد من الأموال والإقطاعات[2]، كما حدث معه عندما وقف مع الأشرف أينال بداية جلوسه على العرش، وهكذا يكون المماليك الجقمقية والجلبان، قد نجحوا في زيادة قوتهم وأعدادهم، بسبب تأييد الخليفة لهم، وانضمام بعض المماليك السيفية وحتى بعض المماليك الأشرفية الذين لم يكن لهم شأن يذكر في الحكم، والبعض من عامة الناس مثل الفقراء[3]. وهذا يعبر عن ذكاء وحكمة المماليك الظاهرية، في محاولتهم استغلال الفرص، وجميع القوى التي يمكن أن تساعدهم في تحقيق هدفهم. ويبدو أنّ السلطان الأشرف أينال كان يعلم عن هذا المخطط فقد تعامل معهم بكل ذكاء واستطاع التفريق بينهم، وزرع الشك بينهم حتى تفرقوا عن بعضهم، وهاجم من تبقى، وتم القضاء على من تبقى منهم بسهولة كبيرة.

الحادي عشر : استغلال الخلاف بين اطراف الثورة وتفريقهم عن بعض:

انعدام الثقة بين الأطراف وتخوف البعض من الآخر، لا شك أنه سيؤدي إلى التفرق، وإلى الصراع الداخلي، ويمكن أن يؤدي إلى الخيانة، وتخلي البعض عن الآخر في أحلك الظروف، وهذا سينتج بلا شك الفشل في تحقيق الأهداف، وقد حدث ذلك في بعض الثورات زمن المماليك، وفشلت بعض الثورات بسبب انعدام الثقة بين الثوار، وتخوفهم من سيطرة طرف دون الآخر في حال نجاح الثورة، وقد استغل بعض السلاطين المماليك الخلاف وانعدام الثقة بين الثوار، وأفشلوا

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 16 / 42-44).

(2) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج 16 / 87).

(3) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج 16 / 87).

هذه الثورات، قبل اكتمالها وقبل تحقيق الهدف المنشود، ونتج عن ذلك تدمير الثوار والقضاء عليهم نهائياً دون رجعه. ومن هذه الثورات.

1_ ثـــورة المماليــــك الجلبــــان والظاهريـــــة علــــى الســـــلطان الأشـــــرف أينــــال عــــام (859هـ/1455م):

عندما رأى المماليك الجلبان اجتماع المماليك، والخليفة وبعض العامة، حول المماليك الظاهرية، وزيادة قوتهم في مواجهة السلطان الأشرف إينال، تخوفوا من عواقب الأمور، وخافوا من تمكن الظاهرية من الحكم، وبدأت الثقة تهتز بين الطرفين، ودفعهم هذا التخوف المماليك الجلبان إلى الانسحاب من المواجهة شيئاً فشيئاً، ويبدوا أنّ السلطان كان يدرك ذلك فقد تركهم في البداية ولم يهاجمهم بشكل مباشر وأخذ يرسل لهم الأمراء للصلح، وعندما انسحب المماليك الجلبان، وبقي المماليك الظاهرية وحدهم، قام المماليك السلطانية بالهجوم عليهم دفعة واحدة وشتت شملهم، وتم اعتقال الأمراء المسؤولون عن تلك الفتنة(1)، هكذا فشلت الثورة رغم امتلاك القوة العسكرية الكبيرة، والأعداد الكثيرة، ووقوف الخليفة العباسي إلى جانب الثوار، لأن الوحدة والاتفاق على الهدف مع الثقة بين جميع الاطراف ينتج النجاح والتفوق، والعكس صحيحٌ تماماً فتشرذم القوة المشاركة في الثورة سيؤدي إلى الفشل وإن امتلكت الكثير من القوة العسكرية والسلاح والأنصار وغير ذلك من عوامل النصر المختلفة.

يمكن للكثير امتلاك القوة العسكرية، والأعداد الكبيرة من الجنود، والتأييد السياسي، فهذه العوامل مهمه في أي صراع، لكن الأهم هو استغلال هذه العوامل بشكل جيد، وسد الثغرات التي يمكن من خلالها القضاء على هذه القوة وتبديدها. هذا ما فعله السلطان الأشرف أينال عندما اجتمع عليه أكثر من خصم، فقد استغل نقاط الضعف عند الخصم ثم وجه الضربة القاضية ونجح في اخماد هذه الفتنة بأقل الخسائر الممكنة، وتم القضاء على المماليك الظاهرية بسرعة كبيرة، فكانوا صيداً سهلاً لقوات السلطان بعد انسحاب الجلبان من المواجهة خوفاً من تزايد نفوذ الظاهرية عند القضاء على حكم السلطان أينال العلائي(2)، فالخلاف السياسي أدى إلى الهزيمة العسكرية، ويرجح أن هذا الخلاف كان متوقعاً فإن اختلاف الأهداف والغاية سيؤدي حتماً للفشل، وكان هذا واضحاً من البداية، فالمماليك الظاهرية يريدون العودة إلى الحكم من جديد، والجلبان كل ما يريدوه زيادة في العطاء من الأموال والخيول وغير ذلك، ويبدو أنهم توقعوا عدم تمكينهم من ذلك حال

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 16 / 87).

(2) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج 16 / 87).

وصول الظاهرية للعرش، ففضلوا الانسحاب وكان الخلاف والفشل نتيجة عدم توحد الأهداف، وهذا ما يحدث في وقتنا الحاضر فاختلاف الأهداف الفئوية، أفشل الكثير من الثورات التي قامت من أجل التخلص من الحكم الاستبدادي الظالم الفاسد، ويجب أن تكون راية الثوار الصراحة والشفافية والاتفاق المسبق على جميع التفاصيل، في جميع المراحل من الثورة، والتأكد من وصول الثورة إلى بر الأمان، والتأكد من الموقف المحلي والإقليمي والدولي تجاه هذه الثورة.

الفصل الثالث

أولاً: العسكرية في التعامل مع الثورات زمن الدولة المملوكية

(648هـ–923هـ/1250م–1517م)

الفصل الثالث

الأساليب العسكرية في التعامل مع الثورات زمن الدولة المملوكية

(648هـ–923هـ/1250م–1517م)

المبحث الأول: الأساليب العسكرية ضد الثورات الشعبية:

استخدم السلاطين والأمراء المماليك الكثير من الأساليب العسكرية في التعامل مع الثورات، والفتن الداخلية، والانقلابات العسكرية التي وقعت ضدهم لعزلهم عن السلطة، فكانوا في الدولة المملوكية البحرية والبرجية يفضلونها عن الأساليب السياسية، وربما يرجع سبب ذلك إلى نظام الإقطاع العسكري الذي اتبعته هذه الدولة، وتربيتهم العسكرية التي تعتمد على القوة في التعامل مع المشاكل والمخاطر التي تواجههم.

وقد اختلفت طبيعة الأساليب العسكرية في التعامل بين الثورات الشعبية وثورات الأمراء والنواب والقادة العسكريين، ولم يتردد السلاطين والأمراء والنواب المماليك في استخدام القوة العسكرية في التعامل مع الثورات والفتن الداخلية، سواء كانت الثورات الشعبية أو ثورات الأمراء والنواب، والتي قامت ضد حكمهم لأسباب مختلفة، لكن طبيعة القوة العسكرية تختلف في التعامل بين النوعين من الثورات وإن تشابهت في الأسماء، فمواجهة الشعب لقوات الشرطة والجيش تختلف عن المواجهة العسكرية بين فرق الجيش لبعضها، ومن هذه الأساليب:

أولاً: استخدام أسلوب الحسم العسكري المباشر:

استخدم السلاطين والنواب المماليك هذا الأسلوب مع كثير من الثورات التي قام بها الشعب أو بعض فئاته ضد نظام الحكم أو ضد السلطان والمسؤولين ظناً منهم بأنه أفضل وأسرع أسلوب في التعامل مع مثل هذه المشاكل.

ومن الثورات التي استخدم ضدها هذا الأسلوب:

1_ مع ثورة العربان في الصعيد عام (651هـ/1253م):

بعد عقد الصلح بين المماليك في مصر والسلطان الناصر يوسف الأيوبي في بلاد الشام[1]، وتأمين الحدود مع الصليبيين، توجه السلطان المعز الدين أيبك، للقضاء على ثورة

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج 29 / 275، 275).

العربان في الصعيد، الذين استغلوا انشغال الجيش بالعمل على التخلص من الأخطار الخارجية، وأعلنوا العصيان والخروج عن الطاعة في منطقة الصعيد، فأرسل السلطان قوات كبيرة من الجيش بقيادة الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار، والأمير عز الدين أيبك الأفرم، ودارت معركة شرسة بين الطرفين، وقد تجمع العربان بأعداد كبيرة، حيث قال المقريزي: "وهم يومئذ في كثرة من المال والخيل والرجال(1)"، فلما رأى الأمير فارس الدين أقطاي كثرتهم هم بالتراجع لإحضار المزيد من التعزيزات العسكرية، لكنه رأى تخبطهم وعدم تنظيمهم ونقص الخبرة لدى قيادتهم فهاجمهم بكل قوة(2)، وبدأ الهجوم المباشر، عندما رمى المماليك تجمع العربان بالنشاب لتفريقهم، فانهزم العربان أمام جيش المماليك رغم أعدادهم تلك، ورغم وقوع المعركة في أرضهم(3)، وهرب حصن الدين بعد أن أخذ بعض الأموال، ثم قام جيش السلطان بتمشيط المناطق، وتم القضاء على أتباع حصن الدين، وقتلوا الكثير من الرجال، وسبوا النساء والاطفال، واستولوا على الكثير من الأموال والخيل والأملاك التي كانت بيد العربان، منعاً لعودة الثورة من جديد(4)، ويرجح أن سبب الهزيمة السريعة للعربان أن معظمهم من العامة لا يملكون الخبرة العسكرية ، وقياداتهم لم تدر معارك من قبل، لكن المماليك تمرسوا على القتال، وخاضوا الكثير من المعارك.

ومن الجدير ذكره أنه بعد هروب حصن الدين، تحالف لاحقاً مع الأمير عز الدين أيبك الأفرم في عصيانه بالصعيد، وتم القبض عليه هناك، ووضع في السجن فترة ثم قتل زمن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري(5).

يتضح لنا مما سبق مدى القوة الكبيرة التي تعامل بها المماليك مع ثورة العربان، وسبب ذلك يرجع إلى أن دولتهم كانت ناشئة ويريدون إثبات قوتهم، وكثرة الفتن في منطقة الصعيد، أو

---

(1) المقريزي، السلوك (ج1/ 479 ، 480).
(2) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج 29 / 275، 275).
(3) المقريزي، السلوك (ج1/ 479 ، 480).
(4) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج 29 / 282، 283)؛ القلقشندي، صبح الاعشى في كتابة الإنشا (ج4 / 69)، المقريزي ، البيان والإعراب عما بارض مصر من الأعراب (ج 1 / 8).
(5) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب (ج 29 / 282، 283 ؛ المقريزي ، البيان والإعراب عما بارض مصر من الأعراب (ج 1 / 8).

للاختلاف بين أصل المماليك الأتراك وبين أهل الصعيد العرب والذين ينظرون إلى المماليك على أنهم رقيق ولا يحق لهم قيادة البلاد، وكثير من أهل الصعيد خاصة النوبة كانوا لا يزالون على الدين النصراني، أو غير ذلك من الأسباب.

2_ مـــع ثـــورة العامــــة (الحــــرافيش) ضـــد والــــي القـــاهرة الأميـــر الشـــريف بكتمـــر (770هـ/1369م):

استخدمت القوة المفرطة في القضاء على هذه الثورة، فقد اجتمع مماليك الوالي الشريف بكتمر، والمماليك السلطانية، وحاصروا العامة في الأحياء السكنية، وسيطرت كل فرقة من المماليك على حارة أو منطقة، وارتكبوا المجازر ضد السكان، فقتلوا أعداداً كبيرة منهم، واعتقلوا الكثير، "حتى أنه كان الجندي يدخل إلى حانوت البياع من المتعيشين ويذبحه ويمضي . وحكى بعضهم أنه قتل بيده في هذه الواقعة من العامة سبعة عشر رجلاً"[1]، هذا يدلل على مدى القسوة التي تعامل بها مماليك الوالي معهم، مما أدى إلى انتشار الخوف بينهم، وعندما علم السلطان بذلك غضب، وأنكر هذه الأفعال، وطمأن الناس، وطلب منهم فتح الأسواق والمحلات التجارية، وأمر مماليكه بالإفراج عن المعتقلين، لكن هذه الإجراءات كانت بعد القضاء على الثورة، وبعد فترة قصيرة توفى الأمير الشريف بكتمر بعد أن أقعده المرض في الفراش أياماً[2]، وكأنه غضب الله تعالى عليه.

بناءً على ما سبق، يمكن القول أن هذا الأسلوب أدى إلى إيقاف بعض الثورات الشعبية، لكنه بلا شك سيؤدي إلى زرع الكراهية والبغضاء في قلوب العامة ضد المسؤولين بشكل خاص ونظام الحكم بشكل عام، ويمكن أن يكون ذلك سبباً من أسباب كثرة الاضطرابات، والثورات، والهبات الشعبية ضد السلاطين والأمراء المماليك والنواب التي كانت تقع من حين إلى آخر، وقد تكون هذه القسوة سبباً في مشاركة الكثير من فئات الشعب مع بعض الأمراء في ثوراتهم ضد السلاطين المماليك، بهدف التخلص من السلطان وأتباعه، حتى ولو كان هؤلاء الأمراء يسعون لتحقيق مصالحهم الشخصية في السيطرة على الحكم، خاصة أن نظام الإقطاع العسكري الذي اتبعه المماليك، أنتج الكثير من القوات العسكرية المتعددة في الدولة التي كانت تحت سيطرة الأمراء

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 4 / 328).

(2) المقريزي، المصدر نفسه (ج 4 / 328).

والنواب بعيداً عن مؤسسات الدولة العسكرية والأمنية، ويُعد ذلك من أهم أسباب قيام الكثير من الثورات والانقلابات والفتن الداخلية في الدولة المملوكية البحرية والبرجية.

ثانياً : استخدام أسلوب القوات الأمنية الخاصة :

من أهم الأساليب التي يلجأ اليها الحكام في كل زمان ومكان للتعامل مع الثورات والانقلابات والفتن الداخلية، الضربات الأمنية الاستباقية، والتي تعتمد على جمع المعلومات السرية، ومتابعة أحوال الشعب والمسؤولين أمنياً، وهذا الأسلوب استخدم زمن الدولة المملوكية البحرية والبرجية، وكان الملف الأمني من أهم الملفات التي يهتم بها السلاطين المماليك، وقد منع هذا الأسلوب الكثير من الثورات والانقلابات العسكرية في مصر وبلاد الشام، كما فعل السلطان الظاهر بيبرس البندقداري[1]، والسلطان محمد بن قلاوون في التعامل مع بعض الأمراء الذين حاولوا استغلال الشعب في ثوراتهم[2].

كان الملف الأمني يسبب الكثير من المخاوف عند الكثير من السلاطين والأمراء، مما دفع الكثير من المسؤولين في الدولة إلى استغلال هذه المخاوف في كثير من الأوقات؛ لتحقيق بعض المكاسب السياسية، والعمل على التقرب من السلطان، والتخلص من بعض المنافسين في الدولة، بإشاعة قيام المنافس بالتجهيز للخروج على السلطان، وإرسال الرسل للسلطان تحذره من ذلك كذباً وافتراء، فيقوم السلطان بناءً على هذه المعلومات بمعاقبة الأمراء المسؤولين، بالقتل، أو السجن، أو النفي، أو إبعادهم عن المناصب المهمة على الأقل[3]، وهذا يدلل على أهمية الملف الأمني في الدولة، ويجب ألا نعجب اليوم من مدى الاهتمام بالأجهزة الأمنية المختلفة في الكثير من الدول المتقدمة والنامية معاً، والتي ينفق عليها ميزانيات ضخمة، ومن يعمل في هذه الأجهزة يتمتع بمكانه كبيرة في النظام الحاكم.

الدارس للتاريخ يجد أن هذه الأجهزة الأمنية، كان لها دور كبير في كثير من الأحداث التاريخية المهمة في الدولة المملوكية وغيرها، ويتعرف على دورها الكبير والمهم في الحفاظ على

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 4 / 328).
(2) العسقلاني، انباء الغمر في ابناء (ج 5 / 280).
(3) العسقلاني، المصدر نفسه (ج 6 / 90 – 95).

الكثير من الأنظمة السياسية الشرعية وغير الشرعية، وهذا الدور من الواضح أنه في بعض الأحيان يكون أهم من دور الجيوش؛ فهو بالنسبة للكثير من الأنظمة السياسية العلاج الوقائي من الانقلابات العسكرية، والثورات الشعبية، والفتن الداخلية قبل وقوعها، فهذه الثورات بالنسبة للحكومات الدكتاتورية مرض يجب الوقاية منه، وإن حدث يجب استئصاله بكل قوة مهما كلف الأمر، حتي لو تحالف مع أعداء الأمة في سبيل تحقيق هدفه بالبقاء على العرش والحفاظ على نظام الحكم، واستخدم السلاطين والأمراء المماليك هذا الأسلوب في التعامل مع الكثير من الثورات الشعبية، ومنها:

ثورة الكوراني الشيعي عام (658هـ/ 1260م):

تمكن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري، من القضاء على ثورة الكوراني الشيعي الذي حاول قلب نظام الحكم، وإعادة حكم الدولة الفاطمية الشيعية، واستخدم السلطان القوات الخاصة في القبض على زعماء هذه الثورة وإعدامهم بناءً على معلومات استخباراتية،" وقد كان بيبرس خبيراً بالمؤامرات، مشهوداً له بالدهاء[1]"، وكان له جهاز أمني لمتابعة كل من يحاول إثارة الفتنة، أو نشر الشائعات والأفكار الهدامة وغير ذلك في المجتمع[2].

وما ساعد في سرعة القضاء على هذه الثورة، فساد قيادتها خاصة الكوراني، وما عرف عنه من الأفكار الباطلة والفاسدة، وإعلانه التوبة ثم التراجع عدة مرات، فلم يتبعه إلا أمثاله من أصحاب هذه الأفكار، وبعض الغلمان والعبيد وغيرهم من الفئات المهمشة، الذين لا قيمة لهم في المجتمع حيث قال القائل فيهم:

مَعْشرٌ أشْبَهوا القُرودَ ولكن ... خالفوها في خفْة الأرواح [3]

وقد يكون ذلك سبب عدم تعاطف معظم فئات الشعب مع هذه الثورة، عندما استخدم السلطان القوة العسكرية المباشرة في القضاء عليها، وعدم المشاركة فيها من البداية، خاصة بعد أن قام هؤلاء بأعمال النهب والسلب للأسواق والمحلات التجارية.

---

(1) الناصر، محمد حامد، بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية (1ج / 162).
(2) الناصر، محمد حامد، المرجع نفسه (ج1 / 162).
(3) العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (ج 1 / 67).

المبحث الثاني: الأساليب العسكرية ضد ثورات الأمراء:

استخدم السلاطين المماليك الكثير من الأساليب العسكرية والأمنية المختلفة في التعامل مع الثورات والانقلابات ضدهم، التي قام بها بعض الأمراء والنواب في مصر وبلاد الشام، بل إن بعض السلاطين قد استخدم القوة العسكرية ضد بعض الأمراء الذين كانوا على خلاف معهم، لمجرد الشك في إمكانية القيام بثورة، أو بعد معلومات أمنية مؤكدة فيتم اعتقالهم، أو قتلهم، أو نفيهم كما فعل السلطان الظاهر بيبرس البندقداري في مصر، فقد قام بقتل بعض الأمراء منهم الرشيدي والدمياطي والبرلي، بعد معلومات أمنية عن تفكيرهم في التجهيز للسيطرة على الحكم والعمل على عزله(1).

وكان الأسلوب الأمني البوليسي حاضر في التعامل مع الأمراء الطامعين في الحكم، والذين حاولوا الوصول إلى الحكم بالتعاون مع أعداء الأمة في ذلك الوقت، مثل المغول، فقد اكتشف الأمن بعد القبض على بعض العملاء، مراسلات بين الملك المغيث صاحب الكرك والمغول، للإطاحة بنظام الحكم المملوكي في مصر وبلاد الشام، وتم القضاء على هذه المحاولة قبل أن تبدأ، واكتشف الأمن محاولة أخرى وهي الاتصال بين المغول وبعض الأمراء المماليك، أمثال الأمير قجقار الحري، والأمير مزغان بن منكوا، والأمير سربغا، والأمير يرمش وتم القبض عليهم وقتلهم، وغير ذلك من المحاولات الفاشلة(2).

كان السلطان الظاهر بيبرس البندقداري يتمتع بحس أمني كبير، واستطاع السيطرة على السلطة بشكل محكم، وذلك من خلال بعض الإجراءات الأمنية في ملاحقة الطامعين في السلطة، والمتحالفين مع الأعداء، وفي سياسته مع أتباعه ونوابه، فقد قام بإجراءات أمنية توضح أنه كان على اطلاع على كل ما يدور في البلاد، وأن عينه مفتوحة على جميع المسؤولين بلا استثناء، وكان يتنقل بين الولايات بكل سرية، فقد عاد من بلاد الشام الى مصر دون إبلاغ المسئولين، للاطمئنان والاطلاع على عمل النواب هناك أثناء تواجده في الشام(3)، واستخدمت الكثير من الأساليب العسكرية في القضاء على تلك الثورات، **ومن الأساليب العسكرية ضد ثورات الأمراء:**

---

(1) ابن سباط ، صدق الأخبار (ج 1 / 408).

(2) ابن سباط، المصدر نفسه (ج 1 / 432).

(3)ابن سباط، المصدر نفسه (ج 1 / 437).

أولاً : الحسم العسكري المباشر:

لا بد للحاكم من قوة تحميه، فبعض المشاكل والثورات والانقلابات، لا يمكن التعامل معها إلا بالقوة العسكرية المباشرة، فالحاكم الذي لا يمتلك القوة العسكرية التي تمكنه من مواجهة الأخطار، والثورات، والفتن الداخلية، سينتهي حكمه بسهوله وسرعة كبيرة، وإن كان على حق، هذا في كل زمان ومكان، واليوم نرى أمثلة على ذلك، فهناك بعض الحكام الذين تم انتخابهم، قد قضي على حكمهم قبل أن يبدأ، والسبب المباشر عدم امتلاكهم قوة عسكرية تحميهم، فالحق لابد له من قوة تحميه. وكان الحسم العسكري المباشر أكثر الأساليب استخداماً زمن الدولة المملوكية البحرية والبرجية.

واستخدم هذا الأسلوب في التعامل مع:

1_ ثورة الأمير عز الدين أيبك الأفرم في الصعيد عام (653هـ/1255م):

من الواضح أن السلطان المعز أيبك استخدم ذكاءه في هذه الثورة، لتحقيق أكثر من هدف، فقد أرسل قوة عسكرية كبيرة للقضاء عليها، وهذا الهدف الأول والرئيسي، ولكنه استخدم هذه القوة لتحقيق أهداف أخرى، سياسية وعسكرية، مثل فرض النظام في مناطق الصعيد، والقضاء على بقايا وجيوب ثورة العربان، واستخدم كبار مماليك الأمير فارس الدين أقطاي في ذلك، لإبعادهم عن مركز الحكم، فأرسلهم على رأس الجيش، مثل الأمير سيف الدين بلبان الرشيد، وعز الدين أزدمر وشمس الدين سنقر الرومي وشمس الدين سنقر الأشقر وبدر الدين بيسري وسيف الدين قلاوون، وسيف الدين بلبان المسعودي، وركن الدين بيبرس البندقداري، وغيرهم، حتى تمكن من السيطرة على الحكم[1]. هذا يدلل على حكمة وذكاء السلطان المعز أيبك، فقد استطاع بذلك القضاء على الثورة، وفرض الأمن في الصعيد، وإعادته إلى سيطرة الدولة، وفي نفس الوقت أبعد كبار مماليك فارس الدين أقطاي عن القاهرة، لحين تدبر أمره خاصة أنه كان متهم بتدبير قتل فارس الدين أقطاي.

2_ ثورة الأمير يلبغا الناصري نائب حلب ضد السلطان الظاهر برقوق عام (791هـ/1389م):

استخدم السلطان الظاهر برقوق، القوة العسكرية المباشرة في التعامل مع خروج يلبغا الناصري من البداية، وجهز الجيش، وجمع المماليك بتوزيع الأموال الكثيرة عليهم، ومنح الأمراء الإقطاعات، وأخذ منهم البيعة والعهود والأيمان(2)؛ ليضمن ولائهم في الصراع حتى يتم القضاء

(1) المقريزي، السلوك (ج 1 / 487).

(2) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 216، 217).

على هذا الخطر الكبير، وبعد تجهيز الجيش، توجهت القوات إلى مركز الحكم في بلاد الشام، ودخلت القوات المصرية إلى دمشق يوم الاثنين سابع ربيع الآخر، فتلقاه الأمير حسام الدين طُرُنطاَي النائب، عملوا في البداية على حل الخلاف سياسياً، واتفقوا على إرسال بعض أعيان الفقهاء إلى يلبغا الناصري ليدخلوا بينه وبين السلطان في الصلح، وتجنب القتال، لكن الناصري رفض الصلح، وتوجه لدمشق لقتال جيش السلطان(1).

رغم فساد الجيش المصري في دمشق وانشغالهم باللهو والترف، فقد استطاعوا هزيمة قوات الناصري مرتين، ثم حدثت خيانة من بعض الأمراء المماليك في الجيش المصري؛ فقلبت الموازين لصالح أتباع يلبغا الناصري، وهزم الجيش المصري، واستولى الناصري على دمشق(2)، والذي استطاع السيطرة على بلاد الشام بالكامل، ويبدو أن أسلوب التودد إلى الأمراء، وإنفاق الأموال عليهم لكسب ودهم، وأخذ العهود منهم الذي قام به السلطان، لم يجد نفعاً ولم يمنع بعض الأمراء من الخيانة التي سببت هزيمة الجيش المصري وخروج بلاد الشام من يد السلطان، وتهديد الحكم المركزي في مصر، وهذا يوضح فشل الحل العسكري المباشر في القضاء على ثورة الناصري، بسبب خيانة بعض الأمراء المماليك للجيش المصري، رغم عمل السلطان برقوق على استمالتهم بالأموال، وبأخذ العهود منهم بشكل مستمر لضمان طاعتهم كما سبق الذكر، ويبدو أن ضعف السلطان برقوق وقلة خبرته في الحكم، وعدم القدرة على إدارة المعركة بالشكل المطلوب، كان سبباً في خيانة الأمراء، فهم أرباب حرب لا تنفع معهم سياسة اللين الزائدة، ولا سياسة الشدة، بل يجب استخدام سياسة الشدة واللين حسب المواقف والظروف.

نجح الناصري في السيطرة على بلاد الشام، وانتشر الخبر بتجهيز الناصري قواته للتوجه إلى مصر، والتي كانت الجبهة الداخلية فيها يرثى لها، فالكثير من الناس مشغول بدفن ضحايا وباء انتشر هناك، والسلطان مرتبك ولا يعلم كيف يتصدى لهذا الخطر، فقد أراد تجهيز جيش جديد للتوجه إلى الشام، وأنفق الأموال والرتب العسكرية على المماليك من جديد، ولكن بعض القادة أقنعوه بتحصين القلعة، والتصدي للناصري في مصر، خاصة بعد سيطرة الناصري على غزة والكرك وانقطاع الأخبار عن بلاد الشام(3)، وأصبح السلطان يتخبط في قراراته التي وضحت ضعفه وعجزه، وانعكس ذلك على باقي المماليك والأمراء والمسؤولين، وزادت الجبهة الداخلية تفكك، وانتشر الخوف الشديد بين الناس، خاصة بعد طلب السلطان من العامة حماية منازلهم

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 5 / 220).

(2) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 220).

(3) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 222).

ومناطقهم وأسواقهم بأنفسهم.

كان يمكن استخدام العامة وجميع فئات الشعب في التصدي للخطر، وذلك عندما يكون القائد أمامهم في الميدان، إلاّ أنّ السلطان برقوق حصن القلعة لحماية نفسه وحاشيته، وترك الشعب فريسة سهلة للزعران والنصابين وقطاع الطرق الذين تجمعوا لنهب الاسواق وأموال الشعب، وتركهم للمسئولين الذين استمروا في جمع الضرائب، رغم اصدار السلطان قراراً بإعفاء الشعب من دفعها[1]، وكل ذلك في ظل انتشار الوباء الذي حصد الأرواح بأعداد كبيرة، وهذا كفيل بتدمير الجبهة الداخلية تماماً.

في ظل هذه الأحوال الصعبة، استقبل الشعب أخبار سيطرة الناصري على بلاد الشام، ودخول الأمراء المماليك هناك في طاعته، وتجهيز جيش كبير من المماليك والتركمان والعربان للتوجه لمصر[2]، وكثر حديث العامة في ذلك، وانتشرت الشائعات بينهم انتشار النار في الهشيم، وتصارع الناس على ادخار السلع وما يلزم لمواجهة الخطر القادم، وشراء السلع الغذائية، وانتشرت عمليات السرقة والنهب بين الناس، وبدأ العامة بتحصين أحيائهم وبيوتهم بأنفسهم، وشراء السلاح لمواجهة الخطرين الخارجي القادم من الشام، والداخلي المتمثل بالزعران وقطاع الطرق وغيرهم، وسط غياب دور المماليك في حمايتهم[3]. وتحصن السلطان بالقلعة، وأغلق الأبواب والطرق التي يمكن للناصري الوصول للقلعة من خلالها، وطلب من كل من باستطاعته حمل السلاح من الشعب التوجه للقلعة، للمشاركة في التصدي للهجوم المنتظر، وأشرف على التحصين بنفسه، وكان يبكي بين الناس، وذلك سبب خوفاً شديد بينهم، ودلل ذلك على قرب نهاية حكمه، وأرسل إلى الأمير أقبغا المارداني الكثير من الأموال ليفرق ذلك في الزعر وحملة السلاح من العامة؛ ليقاتلوا مع العسكر، فاشتد خوف الناس من النهاية، وانقسم العامة إلى جماعات وعصبيات، وافترقوا عدة أحزاب لكل حزب مسؤول، وصاروا يخرجون إلى القاهرة ويقتتلون، فتعطلت الأسواق وأصبح همّ العامة الحفاظ على أرواحهم ومصالحهم من النهب والسرقة[4].

وصلت قوات يلبغا الناصري ومنطاش الحدود المصرية، ولم يجدوا من يقاومهم، وكان هذا مفاجئاً لهم، ودخلوا مدينة الصالحية دون مقاومة أيضاً، وعندما وصلت هذه القوات مدينة بلبيس، بدأ كثير من أمراء المماليك ترك السلطان والدخول في طاعة الناصري، حتى وصل القلعة

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 5 / 221).

(2) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 225).

(3) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 220– 24).

(4) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 225– 226).

وحاصرها وبدأ القتال بين الطرفين، وقد كانت القلعة مليئة بالعامة الذين قاتلوا رحمة بالسلطان(1)، وانتشرت عمليات النهب والسرقة في جميع مناطق القاهرة، وانتشر الزعر واللصوص في الشوارع، واشتد فسادهم، وفقدت الدولة سيطرتها على البلاد، وانتشر الخوف الشديد بين الناس[2].

دخلت قوات الناصري القاهرة، فقاتلهم الأمير قجماس ابن عم السلطان، وكثر الرمي عليهم من فوق القلعة بالسهام والحجارة في المقاليع، ووقعت الاشتباكات المباشرة بين الطرفين، وكانت معركة كر وفر بين الطرفين التي بدأ فيها انسحاب الكثير من أنصار السلطان والانضمام إلى الناصري[3]، والسلطان لا يملك غير توزيع الأموال بين الأمراء والمماليك والعامة، دون نفع في منعهم من التفرق من حوله، حتى استطاع الناصري السيطرة على القلعة، وقبض على السلطان وبعض الأمراء الذين كانوا معه، ووضعوا في السجن، ثم نفي السلطان إلى الكرك.

يتضح مما سبق أن السلطان الظاهر برقوق استخدم القوة المباشرة في التصدي للأمير الناصري، مستعيناً بالأمراء والمماليك الذين أنفق عليهم الأموال الطائلة، والرتب العسكرية لمن يستحق ولا يستحق، وحتى أصبح لهم قوة كبيرة استغلوها ضد الشعب والسلطان نفسه، والتي لم تنفعه في وقت الشدة، فكان هؤلاء الأمراء سبب هزيمة الجيش المصري في جميع المعارك مع الناصري، من معركة السيطرة على دمشق إلى السيطرة على القلعة والقاهرة، ثم باقي المناطق المصرية، حاول السلطان الظاهر برقوق استخدام العامة وتسليحهم لمواجهة الناصري، والعامة تعاني من الوباء وتسلط الأمراء، وانتشار الفوضى والنهب والسرقة، فمثل هذا الأسلوب يحتاج إلى ترتيبات عسكرية مشتركة بين الجيش والجبهة الداخلية، ولكن الشعب كان منهكاً اقتصادياً واجتماعياً، والصراع السياسي بين الأمراء على أشده، دون النظر لأحوال الشعب .

3_ ثورة السلطان الظاهر برقوق بعد خلعه وتعين السلطان المنصور واستبداد الأمير منطاش بالحكم عام (791هـ/1389م):

استخدم الأمير منطاش الصدام العسكري المباشر للقضاء على ثورة السلطان الظاهر برقوق، دون أن يراعي الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية في البلاد التي كانت تعاني من مشاكل كثيرة، فقد أفلست خزينة الدولة تماماً بسبب الاضطرابات العسكرية، والكوارث الطبيعية وانتشار الأوبئة، وعندما جاء خبر ثورة الظاهر برقوق، أراد تجهيز حملة عسكرية لمواجهته، بقيادة السلطان المنصور، فلم يجد في خزينة الدولة ما يجهز به هذه الحملة، فقد كانت معظم أموال الدولة قد تعرضت للنهب والسرقة، وسيطر المسؤولون على ثروات البلاد أثناء الفتن السابقة التي

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 5 / 227 ، 228).

(2)المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 228).

(3) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 228).

تسبب بها الأمراء والمسؤولين أنفسهم، وتركوا الشعب فريسة للظروف والأحوال الاقتصادية الصعبة، وهم يواجهوا المجاعات والوباء[1].

نتيجة لعدم توفر ما يلزم لتجهيز الجيش في خزينة الدولة، بدأ الأمير منطاش بالبحث عن مصدر لتمويل حملته، ولم يجد إلا أموال الأيتام لتحقيق هدفه، "واستدعى القضاة وسأل قاضي القضاة صدر الدين محمد المناوي أن يقرضه مال الأيتام، فامتنع من ذلك ووعظه فلم تنجح فيه المواعظ وختم في يومه على موادع الأيتام وكانت إذ ذاك عامرة بالأموال"[2]، هذه الأفعال توضح الأوضاع السيئة التي حلت بالبلاد، ويدلل على أن الشعوب هي من يدفع ثمن الصراعات السياسية والعسكرية، حتى الأيتام لم يسلموا من تطاول الحكام والمسؤولين، الذين استغلوا أموال الصدقات والزكاة لحماية مراكزهم وتثبيت حكمهم، رغم مخالفة ذلك لشرع الله تعالى، ولم يتردد الأمير منطاش في فعل ذلك لتجهيز الجيش المتوجه إلى بلاد الشام، فهذا حال رجال العسكر وطرقهم للسيطرة على الحكم، دون النظر للتكلفة والخسائر التي يمكن أن تقع فيها البلاد، ليس زمن المماليك فقط، بل في كل العصور المختلفة.

ومن أجل توفير الأموال، توجه الأمير منطاش لفرض ضرائب جديدة على الموظفين، فقد "ألزم سائر مباشري الدواوين بأن يحمل كل واحد خمسمائة درهم ثمن فرس وقرر ذلك على الوظائف لا على الأشخاص على أن من كان له عشر وظائف في عدة دواوين تحمل كل وظيفة خمسمائة درهم"[3]، وكان ذلك من أغرب ما واجه الناس في تلك الفترة، فهم لم يعهدوا ذلك، والزم كل شخص لا يستطيع المشاركة في الحملة بإحضار فرساً، أو دفع ألف درهم، وبعد الاحتجاج دفعوا خمسمائة درهم[4]، "وألزم رؤوس نواب الحجاب بحمل كل منهم خمسين ألف درهم"[5]، وأجبر قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء الشافعي بإحضار عشرة رؤوس من الخيل، كما أجبر الأمراء والولاة، ووصل الأمر إلى الخدم فطلب منهم إحضار الخيول ثم أعفوا لعدم قدرتهم[6]، نجح الأمير منطاش في تجهيز حملته، بجمع الأموال والخيول من الناس بسياسة القبضة الحديدية، لكنه خسر الجبهة الداخلية، في التصدي للخطر القادم، وفي مواجهة السلطان برقوق، ونتج عن ذلك كره

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 5 / 259).
(2) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 259).
(3) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 266).
(4) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 266).
(5) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 266).
(6) المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 266).

الأمراء والعامة وكثيراً من فئات الشعب لهذا الحاكم الظالم، وعملوا من أجل التخلص منه بعد خروجه إلى بلاد الشام بمعظم قواته(1).

وصل الجيش المصري بقيادة السلطان المنصور والأمير منطاش مدينة غزة، في بداية عام 792هـ، واستمر في السير حتى وصل قرب دمشق، ومازالت في يد الأمير جَنتمُر أخو طاز، وتصادم الجيش المصري مع جيش السلطان الظاهر برقوق، ودار قتال شديد بين الطرفين أدى إلى تمزيق الجيشين، وقتل أعداد كبيرة، وتراجع منطاش إلى دمشق، وتفرق معظم جيش الظاهر برقوق نحو حلب والمناطق المجاورة، ولم يبق مع الظاهر برقوق غير أعداد قليلة، لكنه استطاع أسر السلطان المنصور والخليفة العباسي، مما ساعد الظاهر برقوق في إعادة تجميع قواته من جديد، حتى أصبح لديه جيش ضخم، وأعاد الأمير منطاش تجميع ما استطاع من قواته في دمشق ممن بقي معه من الجيش ومن العامة هناك(2)، وتواجه الطرفان من جديد في معركة كانت من أشد المعارك التي وقعت في مصر والشام، أدت الى هزيمة الأمير منطاش شر هزيمة، بعد مقتل آلاف الفرسان والعامة من الطرفين، وعاد الأمير منطاش إلى دمشق، والظاهر برقوق إلى حلب وفي أثناء إقامته، أمر الظاهر بجمع كل من معه من الأعيان وأشهد على المنصور حاجي أنه خلع نفسه وحكم بذلك القضاة، ثم بويع الظاهر وأثبت القضاة بيعته، حاول الأمير منطاش تجميع الجيش من جديد والعودة لكنه فشل، وسيطر السلطان برقوق على بلاد الشام بالكامل، وعين نواب على جميع المدن والمناطق وتوجه إلى مصر لإعادة السيطرة عليها، وتوحيد مصر وبلاد الشام تحت حكمه من جديد(3).

أثناء المعارك والمشاكل والصراعات في بلاد الشام بين الطرفين، استطاع بعض الأمراء والمماليك الذين اعتقلهم الأمير منطاش، الهروب من سجن القلعة بمساعدة بعض أتباعهم من العاملين في القلعة، والاشتباك مع الحراس، وقد جعلوا قيودهم سلاحاً يقاتلون بها، واستطاعوا السيطرة على القلعة، بمساعدة بعض المماليك الذين جاءوا من الخارج بعد تنسيق مسبق(4)، وعندما وصل الخبر للمماليك الظاهرية خرجوا واجتمعوا تحت قيادة الأمير بطا، وقبضوا على المماليك المنطاشية، وأخرجوا باقي المماليك الظاهرية واليلبغاوية من سجن شمايل بالقاهرة، ثم فتح سجني الديلم والحبة، وأفرجوا عن المعتقلين، فهرب والى القاهرة الأمير حسين بن الكوراني، ثم جمع

---

(1) المقريزي، السلوك (ج 5 / 273).

(2)المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 275).

(3)المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 278).

(4)المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 278).

الأمير صراي تمر والأمير قطلوبغا الحاجب ما تبقى من المماليك المنطاشية، وخرج لقتال الأمير بطا وأصحابه، فنزل إليهم وقاتلهم، وهنا كانت نتيجة سياسة منطاش الظالمة بحق العامة، فقد وقفت العامة بأعداد كبيرة مع المماليك الظاهرية، فكانت الغلبة للمماليك الظاهرية، وسيطروا على البلاد(1).

بعد سيطرة المماليك الظاهرية على مصر، قاموا بمصادرة أموال الأمراء والمماليك المنطاشية، دون المساس بأموال ومصالح العامة، وفرضوا الأمن في جميع المناطق، وفرح العامة بزوال الدولة المنطاشية، ونودي بالأمان في البلاد والدعاء للسلطان الظاهر برقوق، وأفرج عن الخليفة المخلوع زكريا، والشيخ شمس الدين محمد الركراكي المالكي، وسائر من كان بالقلعة من المعتقلين، وبدأت عملية التفتيش عن المماليك المنطاشية للقضاء على آخر الجيوب التي كانت تقاتل المماليك الظاهرية، ومنع تجدد الفتنة من جديد، وأرسل الأمير بطا إلى السلطان الظاهر برقوق في غزة يخبره بما حدث، وسيطرة الظاهرية على حكم مصر، وأنها أصبحت تحت حكمه، وأقاموا الخطبة باسمه، واستولوا على القلعة والإسطبل، وقبضوا على سائر الأمراء والمماليك المنطاشية (2).

طريقة تعامل الأمير منطاش مع الثورة الظاهرية، تدلل على جهله وقلة خبرته في التعامل مع الأزمات، فقد اعتمد على القوة العسكرية، وعمل على تجهيز الجيش بكل الوسائل، وإن كانت على حساب الشعب الذي يعاني من عدة مشاكل، فكسب عداء العامة والكثير من الموظفين الكبار في الدولة، دون النظر لأحوال البلاد السيئة في جميع المجالات، مما أدى لضعف الجبهة الداخلية وتفككها، وغفل عن خطر المماليك الظاهرية، واليلبغاوية، معتقداً أنه سيطر عليهم بسجن بعضهم وقتل البعض الأخر، هذا الأسلوب وهذه الإجراءات غير المحسوبة، قلبت الرأي العام لصالح الظاهرية. في ظل هذا الوضع السيئ، خرج بمعظم قواته إلى بلاد الشام ولم يترك من يدافع عن القلعة وحكمه في مصر، هذا يعبر عن عدم توفقه في اختيار الأسلوب الأمثل في التعامل مع الأزمات، وكان التخبط والعشوائية وعدم التنظيم، السمة الغالبة على تصرفاته، مما أنتج هزيمته رغم تفوقه في البداية.

4_ ثـورة الأمير تغري برمش نائب حلب على السلطان الظاهر جقمق عام (842هـ/1438م):

تأخر السلطان الظاهر جقمق في القضاء على ثورة الأمير تغري برمش، وذلك لانشغاله

(1) المقريزي، السلوك (ج 5 / 280).

(2)المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 280 ، 281).

بهروب السلطان المخلوع العزيز يوسف وثورة الأمير أينال الجكمي نائب الشام في دمشق، وفور الانتهاء من تلك المشاكل، توجه الجيش المصري والشامي بعد اتحادهما في دمشق إلى حلب التي كان يحاصرها الأمير تغري برمش، وعند وصول جيش السلطان، وجدوه قد انسحب منها بسبب صمود أهلها، فتوجه إلى مدينة حماة، والتقى الطرفان قربها، وقد انهزم جيش الأمير تغري برمش قبل أن يشتد القتال، فقد بدأ أتباعه بالانسحاب من المعركة عند بداية المناوشات بين الطرفين، وسرعان ما هرب مع بعض أتباعه، إلى مكان مجهول خوفاً من جيش السلطان[1]، ثم كلف السلطان بعض الأمراء لملاحقة الأمير تغري برمش وإلقاء القبض عليه، وسرعان ما تم ذلك وتم قتله[2]، وهكذا انتهى هذا الخطر من بلاد الشام.

اجتمعت الكثير من العوامل التي أدت إلى نجاح السلطان الظاهر جقمق، وهزيمة الأمير تغري برمش، فقد كان لصمود أهل حلب، وتعاون العامة مع الأمراء وجهود العلماء دور في عدم تمكنه من السيطرة على قلعتها والتحصن بها، وهذا سهل على الجيش السلطاني القضاء على قوات الأمير تغري برمش عند لقاء الطرفين وجهاً لوجه، وعدم تمكنه من التحصن داخل القلاع، بمساعدة الشعب للسلطان، وبسبب تماسك الجبهة الداخلية.

ثانياً: التدرج في استخدام القوة العسكرية:

التعامل بالقوة العسكرية يحتاج إلى حكمة وحنكة ودهاء، فكل موقف يحتاج إلى استخدام قدر معين من القوة العسكرية، فقد تكون القوة العسكرية المفرطة غير مجدية في كثير من المواقف، والتهاون قد يسبب الكوارث، لذلك اختار بعض السلاطين والأمراء، التدرج في استخدام القوة العسكرية حسب الحاجة في التعامل مع الثورات والفتن الداخلية، ويتحكم في اختيار القوة حسب طبيعة الثورة وقوتها والأعداد المشاركين فيها، وقوة السلطان وأحوال البلاد الاقتصادية والعسكرية وغير ذلك من العوامل.

وهذا الأسلوب استخدم في التعامل مع:

ثورة الأمير سنقر الأشقر ضد السلطان قلاوون عام (678هـ/1279م):

استخدم السلطان قلاوون أسلوب التضييق على الخصم ومحاصرته للقضاء على ثورة الأمير سنقر[3]، وعلى الأرجح أن السبب في ذلك، كبر حجم القوات من حيث العدد والعدة التي كانت تحت يده، فهو يسيطر على بلاد الشام بجيوشها، وهذه قوة كبيرة جداً.

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 15 / 325).

(2) ابن تغري بردي، المصدر نفسه (ج15 / 325).

(3) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان (ج 2 / 21).

لم يبدأ الصدام بين الطرفين بشكل مباشر وقوي، ولكن كان على شكل مناوشات، استمر معها تراجع قوات الأمير سنقر أمام جيش السلطان قلاوون بقيادة الأمير علم الدين سنجر الحلبي، حتى اقترب من دمشق، فخرج الأمير سنقر بنفسه، ومعه أعداد كبيرة من القوات التي اجتمعت من معظم مناطق الشام، وأقام التجهيزات اللازمة ، كحفر الأنفاق لمواجهة جيش السلطان قلاوون، وعندما التقى الجيشان ثبت كل طرف في مكانه دون تراجع، واشتد القتال بينهما دون أن تقع خسائر كبيرة في الأرواح من الطرفين، وعند اشتداد القتال أكثر فأكثر، بدأت بعض قوات الأمير شمس الدين سنقر بالانسحاب والتراجع، مما سبب الهزيمة للجيش الشامي، الذي تفرق في البلاد، فمنهم من دخل بساتين دمشق واختفى بها، ومنهم من دخل خواطر دمشق، ومنهم من ذهب إلى بعلبك، ومنهم من سلك طريق المرج والقطيفة وعذراء والدرب الكبير إلى القطيفة، واجتمع الكثير من أتباع الأمير سنقر بالقرب من حمص ، ثم عاد أكثر الأمراء إلى دمشق، وطلبوا الأمان من الأمير علم الدين الحلبي ودخلوا في طاعة السلطان[1].

بعد سيطرة الأمير علم الدين الحلبي على دمشق، جهز قوة عسكرية بقيادة الأمير عز الدين الأفرم؛ لتعقب الأمير شمس الدين سنقر ومن بقي معه من الأمراء والجند، الذين تحصنوا في الحصون التي كانت بقيت بيد نوابه وهي حصن صهيون، الذي به أولاده ومعظم أمواله، ودخلها هو أيضاً، وحصن بلاطنس وحصن برزية وحصن عكار وجبلة واللاذقية والشعر وبكاش وشيزر وبعض الحصون الأخرى[2].استغل التتار القتال الداخلي في الدولة الإسلامية، وهاجموا بلاد الشام، وبدأت جيوشهم ترتكب المجازر بحق المسلمين، وقاموا بتدمير الكثير من المساجد والقلاع وغير ذلك، فاتحد المسلمون من جديد تحت حكم السلطان قلاوون، لصد الخطر الخارجي، الذي كان سبباً في توحيد المسلمين، وتراجع الأمير شمس الدين سنقر عن ثورته[3].

رغم القوة الكبيرة التي كان يمتلكها الطرفان لم تقع بينهما معارك شديدة، وكانت الخسائر من الطرفين قليلة جداً، وذلك بسبب التدرج في استخدام القوة، ولو استخدم السلطان جميع ما كان بحوزته من قوة، لكانت الخسائر فادحة ولكانت سبب في اضعاف الجيش الإسلامي، وهذا بالتأكيد سيؤدي إلى هزيمة المسلمين أمام التتار واستباحتهم لبلاد الشام من جديد وإعادة المجازر ضد العامة من المسلمين كما فعلوا سابقاً.

---

(1) اليونيني، ذيل مرآة الزمان (ج 2 / 21).

(2) اليونيني، المرجع نفسه (ج 2 / 23).

(3) العسقلاني ، إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ (ج 2 / 375).

ثالثاً: التحصن في القلاع ومواجهة العدو:

استخدم بعض السلاطين والأمراء القلاع في التصدي للثورات ومواجهتها من داخل القلاع، باستخدام أنواع خاصة من السلاح مثل النشاب لرمي الأعداء، ومدافع النفط لقصف مناطق تمركز القوات المحاصرة، وقد استعان البعض بالعامة لمهاجمة القوات المحاصرة من الخلف بمساعدة القوات التابعة للسلطان.

وهذا الأسلوب استخدم في التعامل مع:

1_ ثورة الأمير منطاش ضد الأمير يلبغا الناصري في مصر عام (791هـ/1389م):

تجمع المماليك الظاهرية وبعض الأمراء غير الراضين عن استبداد الأمير الناصري بالحكم، وتهميش السلطان المنصور، وأعلنوا الثورة عليه بقيادة الأمير منطاش، وهاجموا القلعة للقبض على الأمير الناصري أو طرده من القلعة، فتصدت لهم قواته، وأغلقت الابواب، واجبرتهم على التراجع[1]، وبدأ القتال يشتد بين الطرفين بعد أن أعلن النفير العام في القلعة[2].

استغل الأمير منطاش حالة الشعب الاقتصادية والاجتماعية الصعبة والمتدهورة، ونقمة كثير من فئات الشعب على الأمير الناصري، وتقرب منهم، وادعى أنه منهم وهدفه التخلص من الظلم والاستبداد، وتحسين هذه الأوضاع السيئة، فاجتمع حوله الكثير من العامة بالإضافة للمماليك الظاهرية، وبدأ القتال يشتد بين الطرفين أكثر فأكثر، حاول الأمير الناصري نشر الفوضى بين العامة وإبعادهم عن الأمير منطاش، فأرسل إلى العامة الأمير حسام الدين حسين بن الكوراني والي القاهرة والأمير مأمور الحاجب، "ونودي في الناس بنهب مماليك منطاش والقبض على من قدروا عليه وإحضاره إلى الأمير الكبير فخرج عليهما طائفة من المنطاشية وضربوهما وهزموا من معهما فعادوا إلى الناصري"[3]. وأخذ الأمير منطاش يلاطف العامة، ووزع فيهم الأموال فتكاثروا حوله وتنافسوا على جمع النشاب الذى ترمي به قوات الناصري من القلعة على أتباع الأمير منطاش، لاستخدامه في القتال من جديد، "وبالغوا في المخاطرة معه حتى كان الواحد بعد الواحد منهم يثب في الهواء ويختطف السهم وهو مار ويأتي به منطاش"[4] .

بسبب العامة ثبت الأمير منطاش في القتال، وأخذ الأمراء ينضمون له، وبدأ الكثير من أتباع الأمير الناصري التفرق من حوله والانضمام لجانب الأمير منطاش، فزادت قوته من حيث

---

(1) المقريزي ، السلوك (ج 5 / 245).

(2) المقريزي ، المرجع نفسه (ج 5 / 245).

(3)المقريزي، السلوك (ج 5 / 245).

(4)المقريزي، المصدر نفسه (ج 5 / 245).

السلاح والجنود، عندما أدرك الأمير الناصري تعاظم قوة الأمير منطاش، وتراجع قوته، أرسل إلى الخليفة العباسي يطلب الصلح، فرفض الأمير منطاش، واستمر في القتال حتى سيطر على القلعة[1]بعد هروب الأمير الناصري في مجموعة قليلة من مماليكه وبعض الأمراء الذين وقفوا معه وساندوه[2].

حاول الأمير الناصري استغلال العامة عندما اشتد عليه الحصار في القلعة، لكن سياسته السابقة ضدهم، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة، دفعهم إلى العمل للتخلص منه لا مساندته خاصة أن الأمير منطاش تقرب إليهم ووزع فيهم الأموال، ووعدهم بالعمل على تحسين أحوالهم، وهذا يوضح أن الشعب يقف مع من يراه أفضل ويحل مشاكله ويحد من معاناته، دون النظر لصاحب الحق في الحكم في كثير من الأوقات خاصة في مثل تلك الأحوال، ويكون للإعلام دور كبير في تحديد الطرف الذي يميل إليه الشعب، ويمكن أن يخطئ الناس في الاختيار، بل يمكن أن يختار من هو أشد قسوة، ومن يمكن أن يسبب زيادة المشاكل في المجتمع لا حلها، بل أكثر من ذلك، حيث يمكن أن يختار الشعب من يؤدي إلى تدمير المجتمع اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً وتعليمياً وغيرها من المجالات، دون أن يعي خطورة ما يفعل، هنا يأتي دور النخبة في المجتمع، من العلماء والمثقفين والوجهاء وأصحاب الكلمة المسموعة، مثل الإعلاميين في عصرنا، لتوجيه البوصلة إلى الطريق الصحيح، لا إلى مصالحهم الشخصية، وخوفاً من المسؤولين، فكلمة الحق في وجه الحاكم الظالم جهاد في سبيل الله تعالى.

2_ ثورة الأمير أينال العلائي ضد السلطان المنصور عثمان عام (857هـ/1453م):

التحصن في القلاع يعطي المسيطر عليها قوة كبيرة تساعده في التصدي للخصم، لكن لا تضمن النصر والنجاح له، فكل المعارك تحتاج إلى تخطيط وترتيب وحسن تدبير واستغلال أمثل للإمكانات المادية والبشرية، وهذا ما فشل في فعله السلطان المنصور عثمان، ولم يؤمّن المناطق التي يمكن للخصم استغلالها في اقتحام القلعة، ولم يسيطر على المدرسة الحسنية ويضع فيها الحراسة المناسبة، رغم كثرة عدد أتباعه وامتلاكهم للسلاح والقوة اللازمة، فاستغل الفرصة الأمير أينال العلائي وسيطر عليها، وهاجم القلعة من خلالها[3]، فكانت من أهم الأسباب التي ساعدته في تحقيق النصر لاحقاً.

صمود الأمير أينال العلائي في حصاره للقلعة، دفع الكثير من المماليك والمقاتلين

---

(1) المقريزي ، السلوك (ج 5 / 245) ؛ العسقلاني ، إنباء الغُمر بأبناء العمر (ج 2 / 375).

(2) المقريزي ، السلوك (ج 5 / 245).

(3) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة (ج 16 / 42).

للانضمام إلى قواته، مما ساعده في التصدي لهجوم قوات السلطان المتكرر لفك الحصار، وعدم التراجع بسبب كثرة الرمي بالنشاب من القلعة، وهذا الصمود دفع الكثير من قوات السلطان التخلي عنه والانضمام إلى جانب الأمير أينال الذي حقق نصراً كبيراً له على السلطان الذي فشل في الاحتفاظ بالحكم.

رابعاً: الضربات الأمنية الاستباقية ضد الأمراء والقادة والنواب الطامعين في الحكم:

من الحكمة تقدير الأخطار قبل وقوعها، والعمل على التخلص منها، لذلك نجد اليوم اهتماماً كبيراً من الحكومات بأجهزة الأمن المختصة بجمع المعلومات، وتهتم بها الكثير من الجيوش النظامية، وهي تعتمد عليها في تقدير المشاكل والأخطار التي يمكن ان تواجه الدولة، وبناءً على تعليماتها تسير الجيوش وقوات الأمن في الداخل والخارج، وقد استخدم هذا الأسلوب بعض السلاطين المماليك في القضاء على بعض الأخطار والتهديدات الداخلية والخارجية التي كانت تواجههم، وهذه الضربات استخدمت:

في التعامل مع محاولة الأمير قجقار السيطرة على الحكم بعد وفاة السلطان المؤيد شيخ عام (824هـ/1421م):

حاول الأمير قجقار السيطرة على الحكم بعد وفاة السلطان المؤيد شيخ، ولم يشارك في جنازته، لكن الأمراء الذين نصبوا ابنه المظفر أحمد، تنبهوا لذلك، حيث كان لديهم معلومات أمنية سابقة حول نيته السيطرة على الحكم، مستغلاً انشغال الأمراء بدفن السلطان المؤيد شيخ، وقام الأمير ططر بالقبض على الأمير قجقار وسجنه، وأصبح هو المسيطر على الحكم وصاحب الكلمة الأولى في القلعة، وكان السلطان المظفر أحمد لا يملك شيء من الحكم[1]، وهنا تأتي أهمية المعلومات الأمنية في التعامل مع الأخطار والمشاكل والفتن الداخلية التي يمكن أن تصيب الدولة.

خامساً : زرع الفتنة والخلاف بين الأمراء قادة الثورات:

الخلاف في الرأي شيء طبيعي في المجتمعات، ويمكن استثمار الخلاف في حل كثير من المشاكل وفي تحقيق الأهداف، وقد يؤدي إلى تدمير المجتمعات، وفشل الكثير في تحقيق الغايات إذا عمل كل طرف على تحقيق أهدافه الخاصة والفئوية والحزبية دون النظر للمصلحة العامة التي يجب أن يعمل من أجلها الجميع، ويمكن للخصم أو العدو استغلال هذا الخلاف أو العمل على زرعه بين الحلفاء من أجل إضعافهم، ويستخدم هذا الأسلوب كثير من الحكام المستبدين للحفاظ

---

(1) العسقلاني ، إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ (ج 7 / 406).

على حكمهم للبلاد في وقتنا الحاضر وضد أي محاولة تقوم بها شعوبهم، ومازالوا يجدون من يستمع لهم، ويساعدهم على ذلك من الشعوب، كثير من السلاطين والأمراء المماليك استخدموا هذا الأسلوب في مواجهة الثورات والانقلابات العسكرية ضدهم، وقد ساعدهم على ذلك خصومهم بسعيهم لجمع الغنائم المادية منها والسياسية، وتسرعهم في جني الثمار بعد أول نصر لهم وقبل السيطرة على البلاد والسلطة.

واستخدم هذا الأسلوب في التعامل مع عدة ثورات منها:

1_ ثورة الأمراء في الشام على السلطان المظفر أحمد الأمير ططر عام (824هـ/1421م):

اجتمع بعض الأمراء المماليك المعترضين على سياسة الأمير ططر المتحكم في السلطة، وأعلنوا الثورة في بلاد الشام، واتفقوا على القضاء على حكم المماليك المؤيدية، وطرد المماليك النورازية، وجهزوا القوات لتحقيق هدفهم، واجتمع جيشهم في مدينة غزة، في نفس الوقت جهز الأمير ططر الجيش في مصر لمواجهتهم، وخرج إلى غزة للقضاء على جيش الأمراء، لكن سرعان ما بدأ الخلاف بين الأمراء[1] الذين انسحبوا وتراجعوا عن غزة قبل لقاء الجيش المصري بقيادة الأمير ططر، والذي أجج الخلاف واستغله لصالحه، والذي وصل إلى الصدام العسكري بينهم، وأدي إلى انقسامهم لقسمين: الأول بقيادة الأمير جقمق وبعض الأمراء، وقد توجهوا إلى مدينة صرخد بعد هزيمتهم، والقسم الثاني بقيادة الأمير الطنبغا القرمشي في دمشق، وقد استسلموا للأمير ططر فيما بعد وتم القبض على قادتهم وقتلهم، وأرسل قوة للقضاء على الأمير جقمق ومن معه[2].هكذا استطاع الأمير ططر فرض السيطرة على بلاد الشام لتعود تحت حكم السلطان المظفر أحمد، وبقي الأمير ططر المسيطر على الحكم باسمه حتى أعلن نفسه سلطان البلاد وتلقب بالسلطان الظاهر سيف الدين ططر[3].

اختلاف الأمراء في بلاد الشام خدم الأمير ططر كثيراً، وقد ساعده في القضاء على ثورتهم بسهولة وسرعة كبيرة، وفرض السيطرة فيها لصالحه، بل ساعده في السيطرة على الحكم وعزل السلطان المظفر أحمد بحجة صغر سنه، وضعفه، وعدم تمكنه من إدارة شؤون البلاد، والتصدي للأخطار الداخلية والخارجية، وأصبح يحكم البلاد بشكل مباشر بعد أن كان يحكم باسم السلطان المظفر أحمد، وأدى هذا الخلاف إلى هلاك الأمراء والقضاء على الثورة في مهدها دون عناء أو خسائر تذكر، لكن القدر لم يمكن السلطان الظاهر ططر من الحكم، فقد مرض مرضاً

(1) العسقلاني ، إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ (ج 7 / 415 ، 416).

(2) العسقلاني، المصدر نفسه (ج 7 / 415 ، 416).

(3) العسقلاني، المصدر نفسه (ج 7 / 417).

شديداً أدى إلى موته، بعد خمس وتسعين يوماً فقط[1].

2_ التعامل مع ثورة الأمير أينال الجكمي نائب الشام ضد السلطان الظاهر جقمق عام (842هـ/1438م):

تمكن الأمير أينال الجكمي نائب الشام من السيطرة على حلب عسكرياً، واتفق مع معظم نواب وأمراء بلاد الشام على الخروج على السلطان الظاهر جقمق، وجمع قواته للتوجه إلى مصر للقضاء على حكم الظاهر جقمق، لكنه تفاجأ بتراجع الكثير منهم والانقلاب ضده بعد أن وافقوه على الخروج ، وكان من أشهر هؤلاء الأمراء الأمير قانى باي الأبو بكري الناصري البهلوان أتابك دمشق و الأمير برسباي الناصري حاجب الحجاب بدمشق، وكان سبب تراجعهم وعود السلطان لهم بالإقطاعات والمناصب والترقيات والأموال وغير ذلك، نجح السلطان في توجيه هؤلاء الأمراء ضد الأمير أينال الجكمي وقتاله في معركة كبيرة انتصر فيها الأمير أينال الجكمي، ورغم هزيمتهم وعدم تمكنهم من القضاء على قوات الأمير أينال الجكمي نهائياً[2]، إلا أنهم أربكوا حساباته، وأخروه عن الخروج إلى مصر لقتال السلطان حتى يتمكن من تجهيز قواته، وهذا نجاح كبير للسلطان، ويوضح حكمة وذكاء السلطان الظاهر جقمق السياسي وقدرته على إدارة الازمات والاستفادة من جميع الأطراف والعناصر، حتى لو كانت ضده في التصدي للفتن والمشاكل الداخلية والخارجية.

سادساً : محاربة الثورة بضربها بثورة أخرى:

يمكن أن يتعرّض الحاكم إلى أكثر من مشكلة داخلية في نفس الوقت، فقد تخرج ضده أكثر من ثورة، وهنا يكون الخطر عليه مضاعف، وقد يحدث ذلك إرباكاً كبيراً في مؤسسات الدولة السياسية والعسكرية، لكن إن استطاع تحويل بوصلة هذه الثورات ضد بعضها ستكون سبباً في إبعاد خطرها عن حكمه، ويتم التخلص منهما في نفس الوقت دون أن يخسر الأموال والجنود وسيجنب البلاد الكثير من الخسائر، هذا ما فعله بعض السلاطين والأمراء المماليك عندما كانوا يتعرضوا لمثل تلك المواقف.

ومن أمثلة هذا الأسلوب:

- التعامل مع ثورة الأمير قانصوة خمسمائة ضد السلطان الناصر محمد أبو السعادات عام(902هـ/1497م):

استطاع السلطان الناصر محمد أبو السعادات التعامل مع ثورة الأمير قانصوة خمسمائة

---

(1) العسقلاني، إنباء الغُمر بأبناء العمر في التاريخ (ج 7 / 426).

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (ج 15 / 300-304).

بحكمة كبيرة، فقد استخدم القوة العسكرية المباشرة في صد الهجوم على القلعة في البداية، حتى لا يخسر مركز القيادة، وإبعاد الأمير قانصوة خمسمائة عن القلعة، لكنه كان يعلم احتمال عودته للثورة من جديد، في نفس الوقت أعلن الأمير أقبردي الدوادار الثورة على السلطان في بلاد الشام، فطلب السلطان من الأمير أقبردي الدوادار قتال الأمير قانصوة خمسمائة الذي توجه إلى بلاد الشام بعد هزيمته في مصر، فرح أقبردي الدوادار بذلك لأن فيها تحسين لصورته عند المماليك وبين عامة الناس[1]، ونرجح أنه رأى في ذلك فرصة للوصول إلى الحكم عبر طريق مختصرة، وتحقيق أطماعه بالسيطرة على السلطة بعد القضاء على ثورة الأمير قانصواة خمسمائة والتقرب من السلطان.

قدم الأمير أقبردي الدوادار من شمال بلاد الشام متجهاً إلى مصر، فالتقى بالأمير قانصوة خمسمائة ومعه بعض الأمراء من مصر بأرض الزعقاء[2]، ثم تراجع الأمير قانصوة خمسمائة إلى خان يونس حيث التقى الطرفان، وكانت معركة شرسة بينهما، قتل فيها الكثير منهم، وكان من أهم نتائجها مقتل الأمير قانصوة خمسمائة، وتفيد بعض المصادر أنه لم يقتل لكنه اختفى في مكان مجهول، واستطاع أقبردي الدوادار فرض السيطرة على جميع مناطق بلاد الشام باسم السلطان بعد التخلص من الأمير قانصوة وأتباعه، والقضاء على ثورته نهائياً [3]، وهكذا يكون السلطان قد تخلص من ثورة الأمير قانصوة خمسمائة، باستخدام خصم ثانٍ، وفي نفس الوقت يكون قد أضعف أقبردي الدوادار عسكرياً، ونتساءل هنا هل يمكن لهذا النصر تقوية الأمير أقبردي الدوادار بدلاً من إضعافه وانتقال خطره من الشام إلى مصر؟ نرجح أن السلطان كان يعلم كره الأمراء المماليك لذلك الأمير بسبب أفعاله، وأنهم سيمنعونه من أي تجاوز بحق السلطان، بالإضافة لعدم وجود قاعدة شعبية له في مصر، وأنه إن لم يتحالف معه سيتحالف معه الأمير قانصوة خمسمائة فيكون الخطر أكبر وأشد.

سابعاً : سياسة الترغيب والترهيب:

من أهم الأساليب التي استخدمها السلاطين المماليك ضد خصومهم، والطامعين في الحكم من النواب والأمراء الذين قاموا بكثير من الثورات والانقلابات، بغض النظر عن أسبابها، كان أسلوب الترغيب والترهيب، مستغلين أوضاع الناس والظروف التي كانت تمر بها البلاد خاصة الاقتصادية منها، ومستغلين طمع الأمراء والمماليك في المناصب والرتب العسكرية، وخوف البعض

---

(1) البصري، تاريخ البصري (ج204/1)؛ ابن طولون الصالحي ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (ج41/1).

(2) ابن طولون الصالحي ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (ج1 / 141).

(3) البصري، تاريخ البصري (ج204/1)؛ ابن طولون الصالحي ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (ج141/1).

من سحب بعض الصلاحيات والمناصب وغير ذلك، وكانت هذه السياسة تمر عبر وسائل الإعلام في ذلك الوقت، مثل المساجد والأسواق، واستخدم هذا الأسلوب من خصوم السلاطين أيضاً، من خلال الإشاعات والرسائل المزيفة، والمضللين وغيرهم، وهؤلاء موجودون في كل زمان ومكان حتى في وقتنا الحاضر.

هذه السياسة استخدمت مثلاً:

مع ثورة الأمير أقبردي الدوادار في بلاد الشام ضد السلطان الناصر محمد أبو السعادات عام (904هـ/1499م):

كانت هذه الثورة من أخطر الثورات التي وقعت في الدولة المملوكية البرجية، بسبب تقلب المواقف السياسية والعسكرية للأمراء والقادة والزعماء والعلماء منها، فقد يكون أحد القادة في طاعة السلطان، ثم ينتقل فجأة ضده، وقد يحارب في بداية اليوم تحت لواء السلطان، وفي نهاية اليوم ينقلب عليه، ومنهم قادة الانقلاب أنفسهم، فالأمير أقبردي الدوادار قد حارب مع السلطان الأمير قانصوه خمسمائة، ثم انقلب عليه، والأمير أينال الفقيه قد عينه السلطان لقتال أقبردي الدوادار، وعمل في بداية الأمر على جمع الناس في دمشق لقتاله، وأقنع الكثير من مشايخ العرب والزعر، وطمأن الناس، وعند وصول أقبردي الدوادار تحالف معه وخدع العامة بأن السلطان راضٍ عنهما وأن الخلاف مع بعض المسؤولين وليس مع السلطان، إلى أن جاء النائب الجديد لبلاد الشام الأمير جان بلاط وفضح أمرهما، وعرف الناس أنهما خرجا عن الطاعة[1].

استغل النائب الجديد في الشام الاضطراب السياسي والعسكري لمصلحته، فبدأ بتفكيك جبهة الخصوم، وأصدر قرار فيه الكثير من الترغيب والتهديد، فأعلن أنه من أراد من الأمراء الخارجين على السلطان أن يعود إلى رشده، فليأتِ تحت لواء السلطان وله الأمان، مع الاحتفاظ براتبه السابق ورتبته العسكرية، ومن أراد الوقوف على الحياد فليذهب إلى مدينة القدس، وإلا سيكون عقابه شديد وسيعامل مثل الانقلابين[2]، وبالتأكيد فمثل هذا القرار سوف يسبب الكثير من الاضطراب في صفوف الخصم، وسوف يضعف من قوته، وسيقلل أعداد أتباعه، وسيؤدي إلى فقدان الثقة بين الأمراء في قيادة الثورة، ولو لفترة زمنية قصيرة، تمكن النائب الجديد من ترتيب صفوف قواته، وأعاد تنظيمهم بعد التخبط الذي حدث قبل قدومه إلى دمشق، وتكليفه بالقضاء على هذه الثورة.

تأمين الجبهة الداخلية التي تمد الجيش بالدعم اللوجستي مهم جداً، خاصة إذا كانت المعركة داخل المدن أو حولها، وتمنع حدوث الفتن الداخلية خلال المعركة التي إن حدثت فإنها

(1) ابن طومان الصالحي، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (ج 1 / 151) .

(2)ابن طولون الصالحي ، المصدر نفسه (ج 1 / 154).

تمثل خطراً كبيراً جداً على الجيش ، لذلك عمل الأمير جان بلاط على حث الناس على الوقوف إلى جانبه في القتال، ومنحهم الأموال والجوائز، وأصدر الإعفاءات عن بعض المتجاوزين، وتوعد من يساعد الخصوم بالقتل، وإحراق البيوت والعذاب، واستخدام أشد أنواع التنكيل[1]، وذلك لترغيب أتباع السلطان في القتال، وترهيب الباقي من الخيانة، هذه الإجراءات ستضمن الجبهة الداخلية في دمشق، وتمنع أي عملية غدر أو التفاف على القوات أثناء القتال، والاصطدام مع الأعداء، فمن المهم السيطرة على الجبهة الداخلية عند التعرض للخطر، الداخلي أو الخارجي.

تحصن أهل دمشق وأتباع السلطان في القلعة وما حولها من المناطق، وتحصن أتباع الأمير أينال الفقيه و أقبردي الدوادار في منطقة المصطبة، وهاجموا مدينة دمشق وبدأ القتال بين الطرفين، وكان كل طرف حريص على الحفاظ بنقاط قوته على أرض المعركة، وعمل الطرفان على إحراق وتدمير أي نقطة يحاول الطرف الأخر استغلالها من أجل التقدم في اتجاه الآخر، وقد أحرقت الكثير من البيوت والمساجد والأسواق، ووقعت الكثير من عمليات النهب والسلب في المنطقة المجاورة للمعركة من قبل أتباع الفقيه، واستمر الحصار لدمشق أكثر من شهر، في ظل انتشار الرعب والخوف الشديد بين الناس، وقد استغل الزعر والغوغاء هذه الأحداث وقاموا بالكثير من عمليات النهب والسرقة داخل المدينة، وزاد من خطورة الأمر انضمام فرق من الشيعة إلى المحاصِرين، لكن الأمير أينال الفقيه وأتباعه فشلوا في جميع محاولاتهم لاقتحام قلعة دمشق، رغم شدة القتال والخسائر الكبيرة من الطرفين، واستمر هذا الوضع حتى وصل الجيش المصري لمساندة أهل دمشق، وعند وصوله، هرب أينال الفقيه وتفرق جيشه في بلاد الشام، وهكذا فشلت هذه الثورة في السيطرة على بلاد الشام، ودخل الجيش المصري دمشق، وأصبح الأمير كرتباي الأحمر نائباً على الشام[2].

كان للعامة في مدينة دمشق دور كبير في التصدي لمحاولة السيطرة على المدينة من أعداء السلطان، ولولا وقوفهم في وجه الأعداء مع الحامية ومع المماليك الموجودين، لاستطاع أعداء السلطان السيطرة عليها في وقت مبكر، فقد شاركوا في بناء التحصينات والدروب والسواتر التي تمنع الأعداء من التقدم داخل دمشق، وشاركوا في القتال بشكل مباشر وقوي في جميع مراحله من اليوم الأول إلى أن حضر الجيش من مصر[3]، وهذا يدلل على أهمية الجبهة الداخلية في تحقيق النصر والتصدي لجميع أنواع المشاكل والأخطار التي يمكن أن تواجه البلاد، ويخطئ من يتخذ من شعبه عدواً، وتغره قوته، فإن الشعب يمتلك ما يستطيع من خلاله التصدي لأكبر قوة على

---

(1) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان (ج 1 / 154).

(2)ابن طولون الصالحي ، المصدر نفسه (ج1 / 152 – 158).

(3)ابن طولون الصالحي ، المصدر نفسه (ج1 / 152 – 158).

وجه الأرض إن تكاتف مع جيشه، ووجد القيادة الصالحة الحكيمة التي تستغل الفرص وتعد العدة بشكل مناسب، وتضع حلول لجميع المشاكل الموجودة، والتي يمكن أن تقع حتى مستقبلاً، وإلا ستكون النتيجة كارثية، والكثير من الشواهد تدلل على ذلك عبر التاريخ إلى وقتنا الحاضر.

النتائج والتوصيات

النتائج والتوصيات

بعد إتمام هذه الدراسة، خلص الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات أهمها:

أولاً : النتائج:

- استمرت بعض الثورات عشرات السنين، ودفعت الشعوب أثماناً باهظة من أجل الحصول على الحرية والعدالة الاجتماعية، ولم تثنه هذه التضحيات عن الاستمرار في هذه الثورات، والنضال من أجل تحقيق أهدافهم.
- قام الكثير من الأمراء والنواب المماليك بثورات لتحقيق مكاسب شخصية، أو الوصول إلى السلطة دون النظر للنتائج، سواء كانت سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو اجتماعية.
- اعتمد المماليك على نظام الإقطاع العسكري في تكوين الجيش، مما سهل على بعض الأمراء والقادة العسكريين السيطرة على الفرق العسكرية بعيداً عن مؤسسات الدولة العسكرية والسياسية، لأن ولاء معظم المماليك كان لأستاذهم (أميرهم) .
- كثير من أهل مصر وبلاد الشام، كانوا ينظرون إلى المماليك على أنهم رقيق، ولا يحق لهم حكم البلاد، لذلك حرص هؤلاء السلاطين على أخذ البيعة من الفقهاء وعلماء الدين الكبار، والخليفة العباسي الذي لم يمتلك أي صلاحيات سياسية أو عسكرية، في ظل الحكم المملوكي، لكن انتصاراتهم على اعداء الامة الاسلامية ساندهم.
- حدثت الكثير من الثورات أثناء تعرض البلاد للكوارث الطبيعية، وانتشار الأوبئة والمجاعات، التي لم يقم الحكام والمسؤولون بواجبهم لمساندة الناس في مواجهتها، وانشغالهم في الصراع على السلطة والمناصب.
- الصراع بين الأمراء على السلطة والمناصب المختلفة أدخل البلاد في الكثير من الفتن الداخلية، التي سببت سقوط آلاف الضحايا، وخسائر مادية كبيرة، وإهدار ثروات الشعوب لتحقيق مكاسب شخصية، والشعوب في أمس الحاجة لتلك الثروات بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة.
- حاول كثير من السلاطين والأمراء المماليك استغلال بعض فئات الشعب؛ لمواجهة خصومهم في التعامل مع الثورات الداخلية خاصة ثورات الأمراء والنواب.

- بعض الثورات كانت تهدف للقضاء على نظام الحكم المملوكي بشكل كامل مثل : ثورة العربان في الصعيد، وثورة الكوراني الشيعية في السلطان. ولم يكن السبب ظلم السلطان أو بعض المسؤولين .
- لم يؤمن المماليك بمبدأ توريث العرش، ومع ذلك حاول الكثير من السلاطين تعين أبنائهم في ولاية العهد، فنتج عن ذلك عزل السلطان الجديد بعد أشهر من توليه من قبل الأمراء الكبار، واختيار أقواهم سلطان.
- أهمية تماسك الجبهة الداخلية في التصدي للأخطار الداخلية والخارجية، وذلك عن طريق تقويتها اقتصادياً، واجتماعياً، وتعليمياً، وفي باقي المجالات؛ لتكون سنداً للدولة وقت الخطر والفتن.
- استخدم السلاطين المماليك الكثير من الأساليب السياسية في التعامل مع الثورات أهمها: سياسة الترغيب والترهيب، وتوزيع الأموال والهدايا، والترقيات السياسية والعسكرية، والمقاومة الثقافية، والتفاوض مع الخصم، والمراوغة ، وزرع الفتنة، والخلاف بين الثوار، وتشتيت قوتهم.
- من أهم الأساليب العسكرية التي استخدمها المماليك في القضاء على الثورات: الحسم العسكري المباشر، وقتل قادة الثورة، والتدرج في استخدام القوة، والتحصن في القلاع، وتوجيه ثورتين ضد بعضها عند وقوعهما في نفس الوقت.
- نجح السلاطين المماليك في التعامل مع الثورات والفتن الداخلية بالأساليب السياسية، والعسكرية مع البعض الآخر، واستخدمت أساليب سياسية وعسكرية في نفس الوقت؛ للتعامل مع بعض الثورات.
- تم القضاء على الكثير من الثورات قبل أن تبدأ، ذلك بفضل المعلومات الأمنية التي ارشدت المسؤولين إلى بعض الأمراء، الذين حاولوا القيام بثورات بالتحالف مع قوى خارجية مثل المغول؛ فتم القبض عليهم وقتلهم.
- استغل السلاطين والأمراء المماليك الخلفاء العباسيين، وعلماء الدين، والقضاة في سبيل توفير الشرعية لحكمهم، ولجمع الأنصار والأتباع من الشعب حولهم؛ لمواجهة خصومهم والوصول إلى السلطة، أو البقاء على العرش.

ثانياً : التوصيات:

- إعداد المزيد من الدراسات العلمية والبحثية التي تتناول الثورات والفتن الداخلية، وتوضح أهم الإيجابيات والسلبيات لها، وأثرها على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكيفية الاستفادة منها.
- إعداد دراسة حول اثر الثورات والفتن الداخلية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، في مصر وبلاد الشام زمن الدولة المملوكية.
- دعوة الثوار وطلاب الحرية لدراسة تاريخ الثورات السابقة في البلاد المختلفة؛ للاستفادة منها في مواجهة الحكام المستبدين، وتجنب الأخطاء والأسباب التي يمكن أن تؤدي إلى فشل الثورات، والعمل على تشكيل قيادة موحدة لثوراتهم.
- دعوة الحكام الصالحين لدراسة الثورات والانقلابات العسكرية؛ لمعرفة الأساليب المناسبة في التعامل معها، والتعرف على الطرق الخبيثة التي يمكن أن يستخدمها أصحاب هذه الانقلابات، من أجل الانقضاض على السلطة، ودعوة الحكام المتسلطين والذين ينفذون أجندات خارجية ضد شعوبهم للعودة إلى الله تعالى.
- دعوة علماء الدين للوقوف مع الحق ومع الشعوب المظلومة، وقول كلمة الحق في وجه الحاكم الظالم، وعدم دعم الحكام الظالمين خوفاً منهم، أو طمعاً في المناصب والأموال والهدايا.
- دعوة الشعوب للمشاركة في الثورات، وعدم التسرع في جني الثمار، وليعلموا أن الثورة لها ثمن كبير جداً، لكنه أقل بكثير من تحكم وسيطرة الفاسدين والمفسدين على البلاد وثرواتها.

المصادر
والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

- البرزالي، علم الدين ابو محمد القاسم بن محمد بن يوسف. (ت739:هـ/1338م). الوفيات للبزرالي. (علق على النص أبو يحيى عبد الله الكندي). دار غرس للنشر والتوزيع. الكويت. ط1. 1426هـ/ 2005م.
- البصروي، علي بن يوسف أحمد البصراوي. (ت905:هـ/1500م). تاريخ البصروي. (تحقيق أكرم حسن العلبي). دار المأمون للتراث. دمشق. ط1. 1408هـ/1988م.
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي. (ت: 279هـ/ 892م). الجامع الصحيح سنن الترمذي. (تحقيق أحمد محمد شاكر وأخرون). دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين (ت:1469/874م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين (ت:1469/874م). مرد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة. (تحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد). دار الكتب المصرية، القاهرة، 1418هـ/1997م.
- ابن حجر العسقلاني، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني. (ت: 852هـ/ 1449م). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. (تحقيق: محمد عبد المعيد خان). نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيدر اباد/الهند، ط2، 1392هـ/1972م.
- ابن حجر العسقلاني، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت: 852هـ/ 1449م). انباء الغمر بأنباء العمر. (تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان). دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط2. 1406هـ/ 1986م.
- حلاق، حسان وصباغ، عباس: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية

والعثمانية. دار العلم للملايين. بيروت . ط. 1420هـ/1999م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي(ت808هـ/1405م). تاريخ ابن خلدون. دار القلم. بيروت. ط5. 1984م.

- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. (ت:681هـ/1283م). وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة . لبنان. د.ط . د.ت.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي.(ت:1347/748م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. (تحقيق: عبد السلام تدمري). دار الكتاب العربي. بيروت. ط1. 1407هـ/1987م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي.(ت:1347/748م). العبر في خبر من غبر. (تحقيق: صلاح الدين المنجد). مطبعة حكومة الكويت. الكويت. ط2. 1404هـ/ 1984م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي.(ت:1347/748م). من ذيول العبر. (تحقيق: صلاح الدين المنجد). مطبعة حكومة الكويت. الكويت . د.ط. د.ت.

- السخاوي، الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي. (ت:902هـ/1497م). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . دار الجيل. بيروت . د.ط . د.ت .

- ابن سباط، حمزه بن احمد بن عمر المعروف بأبن سباط الغربي.(ت بعد926هـ/1520م). تاريخ ابن سباط. (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس) . طرابلس/لبنان. ط1. 1413هـ/1993م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي. (ت:911هـ/1505م). حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي . الأردن، الإصدار 4 . 1429هـ/2008م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي (ت:911هـ/1505م). نظم العقيان في أعيان الأعيان. الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي . الأردن. الإصدار 4 . 1429هـ/2008م.
- الشرقاوي، مديحة. برسباي وسياستاهُ الداخلية والخارجية. الدار الثقافية للنشر. القاهرة. ط1. 1429هـ/2008م.
- ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي (ت:684هـ/1285م). الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي . الأردن، الإصدار 4 . 1429هـ/2008م.
- الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ/1834). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. دار المعرفة . بيروت . د.ط . د.ت
- الصفدي، أبو الصفا صلاح الدين خليل بن عز الدين أيبك بن عبد الله الألبكي الصفدي (ت: 764هـ/1363م). أعيان العصر وأعوان النصر . (تحقيق علي أبو زيد وآخرون). 6ج. (تقديم: مازن عبد القادر المبارك). دار الفكر . دمشق . ط 1 . 1418هـ/1998م.
- الصفدي، أبو الصفا صلاح الدين خليل بن عز الدين أيبك بن عبد الله الألبكي الصفدي (ت: 764هـ/1363م). الشعور بالعور . (تحقيق : عبد الرازق حسين) . دار عمار. الأردن/عَمان . ط1 . 1409هـ/1988م.
- الصُقاعي، فضل الله بن أبي الفخر الصُقاعي (ت:725هـ/1325م). تالي كتاب وفيات الأعيان . (تحقيق: جاكلين سُوبلة). المعهد الفرنسي للدراسات العربية. دمشق . د.ط، . 1394هـ/ 1974م.
- صلاح، محمد سالم. المفاوضات والمعاهدات بين المماليك البحرية والصليبيين في بلاد الشام. رسالة ماجستير. غير منشورة. الجامعة الإسلامية غزة– فلسطين.
- ابن طولون، محمد بن طولون الصالحي الدمشقي (ت:1449/853م).إعلام الورى بمن ولي نائباً من الاتراك بدمشق الكبرى. (تحقيق: محمد أحمد دهمان). دار الفكر. دمشق. ط2. 1404هـ/ 1984م.

- العاصمي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي(ت1111هـ/1699م). سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي. (تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض). دار الكتب العلمية. بيروت. دط. 1419هـ/1998م.
- العكري ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت: 1079هـ/1668م). شذرات الذهب في أخبار من ذَهَب. (أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط). (حققه وعلق عليه: محمود الأرناؤوط). دار ابن كثير. دمشق – بيروت . ط 1 . 1412هـ/1991م.
- العُليمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمـــي الحنبلي. أبو اليمن. مجير الدين (ت:1521/927م). الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. (تحقيق، عدنان نباتة). مكتبة دنديس. عمان. د.ط . 1420هـ/1999م.
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العيني (ت:1451/855م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي . الأردن. الإصدار 4 . 1429هـ/2008م.
- أبو مصطفى، محمد الياس. دور خطر المغول في توحيد المماليك. رسالة ماجستير. غير منشورة. الجامعة الإسلامية غزة– فلسطين.
- أبو الفداء، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي (ت : 732هـ/1332م). المختصر في أخبار البشر. مكتبة المعارف. بيروت. د.ط . د.ت .
- أبو الفداء. عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي(ت775هـ/1373م). الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية. دار مير محمد خانه. كراتشي.
- قاسم، عبده قاسم وعلي، السيد علي . الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعَسْكري . عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية . القاهرة . 1415هـ/ 1995م.
- ابن الفوطي الشيباني، كمال الدين أبي الفضل عبدالرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي(ت:1323/723م). الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة. (تحقيق: مهدي النجم) دار الكتب العلمية. بيروت. ط1 . 1424هـ/2003م.

- القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقـشــندي ثم الفزاري (ت: 821هـ/1418م). صبح الأعشى في كتابة الإنشا. (تحقيق: عبد القادر زكار) . نشر وزارة الثقافة . دمشق. د.ط. 1401هـ/ 1981م.
- القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقـشــندي ثم الفزاري (ت: 821هـ/1418م). مآثر الإنافة في معالم الخلافة. (تحقيق: عبد الستار أحمد فراج). مطبعة حكومة الكويت. الكويت . ط 2 . 1405هـ/ 1985م.
- القيسي، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القـيسـي الدمشقي (ت:842هـ/1438هـ). توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم. (تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي). مؤسسة الرسالة. بيروت. ط1 . 1413هـ/1993م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ثم الدمشقي (ت: 774هـ/1343م). البداية والنهاية. دار المعارف . بيروت . د.ط. 1407هـ/1986م.
- المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد، أطلس تاريخ العصر المملوكي. مكتبة العبيكان. الرياض. ط1. 1434هـ/2013م.
- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمـــد بن علـــي بن عبد القادر العبـيدي المقــريزي (ت:845/1441م). السلوك لمعرفة دول الملوك. (تحقيق: محمد عبد القادر عطا) دار الكتب العلمية. بيروت . ط1. 1418هـ / 1997م.
- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمـــد بن علـــي بن عبد القادر العبـيدي المقــريزي (ت:845/1441م). البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب. الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي . الأردن. الإصدار 4 . 1429هـ/2008م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت:733هـ/1333م). نهاية الأرب في فنون الأدب .(تحقيق : مفيد قمحية وآخرون) . دار الكتب العلمية. بيروت . ط1 . 1424هـ/2004م.
- الكتيبي. محمد بن شاكر بن أحمد. (ت:764هـ/1363م). فوات الوفيات. (تحقيق علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود). دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2000م.

- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (ت: 749هـ/1348هـ). تاريخ ابن الوردي. دار الكتب العلمية. بيروت، ط1. 1417هـ/1996م.
- الناصر، محمد حامد. بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية. المكتبة الشاملة.
- اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي (ت:768هـ/1367م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان . (وضع حواشيه: خليل المنصور). منشورات محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1 . 1417هـ/1997م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت:626هـ/1229م). معجم البلدان. (تحقيق: أحمد الرفاعي) . دار الفكر . بيروت . د.ط. 1409هـ/ 1987م.
- اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد الحسين أحمد اليونينـــــي البعلبكي (ت:726هـ/1326م). ذيل مرآة الزمان. الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي . الأردن. الإصدار 4 . 1429هـ/2008م.

الملاحق

ملحق رقم (1)

جدول قائمة سلاطين دولة المماليك البحرية 648-784هـ/1250-1382م[1]

م	السلطان	فترة الحكم
1	المعز عز الدين أيبك	648-655هـ/1250-1257م
2	المنصور نور الدين علي بن أيبك	655-657هـ/1257-1259م
3	المظفر سيف الدين قطز	657-658هـ/1259-1260م
4	الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري	658-676هـ/1260-1677م
5	السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد بركة	676-678هـ/1277-1279م
6	العادل بدر الدين سُلامش	678هـ/1279م
7	المنصور سيف الدين قلاوون	678-689هـ/1279-1290م
8	الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون	689-693هـ/1290-1293م
9	الناصر محمد بن قلاوون (الفترة الأولى)	693-694هـ/1293-1294م
10	العادل زين الدين كتبغا	694-696هـ/1294-1296م
11	المنصور حسام الدين لاجين	696-698هـ/1296-1299م
12	الناصر محمد بن قلاوون (الفترة الثانية)	698-708هـ/1299-1309م
13	المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	708-709هـ/1309-1310م
14	الناصر محمد بن قلاوون (الفترة الثانية)	709-741هـ/1310-1340م
15	المنصور سيف الدين أبو بكر	741-742هـ/1340-1341م
16	الأشرف علاء الدين كجك	742هـ/1341م
17	الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد	742-743هـ/1342م
18	الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد	743-746هـ/1342-1345م

(1) صلاح، محمد، المفاوضات والمعاهدات بين المماليك البحرية والصليبيين في بلاد الشام (ص330)

19	الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد	746-747هـ/1345-1346م
20	المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد	747-748هـ/1346-1348م
21	الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن بن الناصر (الفترة الأولى).	748-752هـ/1348-1351م
22	الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد	752-755هـ/1351-1354م
23	الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن بن الناصر (الفترة الثانية).	755-762هـ/1354-1361م
24	المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي بن قلاوون	762-764هـ/1361-1363م
25	الأشرف زين الدين شعبان بن حسن بن محمد	764-778هـ/1363-1377م
26	المنصور علاء الدين علي بن شعبان	778-783هـ/1377-1381م
27	الصالح زين الدين حاجى	783-784هـ/1381-1382م.

ملحق رقم (2)

جدول قائمة سلاطين دولة المماليك البرجية 784-923ه/1382-1517م[1]

م	السلطان	فترة الحكم
1	الظاهر سيف الدين برقوق (المرة الأولى)	784-790هـ/1382-1388م
2	الصالح حاجي بن شعبان	790-792هـ/1388-1390م
3	الظاهر سيف الدين برقوق (المرة الثانية)	792-801هـ/1388-1390م
4	الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق	801-815هـ/1399-1412م
5	الخليفة العباسي المستعين بالله	815هـ/1412م
6	المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي	815-824هـ/1412-1421م
7	المظفر أحمد بن شيخ	824هـ/1421م
8	الظاهر سيف الدين ططر	824هـ/1421م
9	محمد بن ططر	824-825هـ/1421-1422م
10	الأشرف برسباي	825-841هـ/1422-1438م
11	أبو المحاسن يوسف بن برسباي	841-842هـ/م1438م
12	الظاهر جقمق	842-857هـ/1438-1453م
13	المنصور عثمان بن جقمق	857هـ/1453م
14	الأشرف إينال	857-865هـ/1453-1461م
15	المؤيد أحمد بن إينال	865هـ/1461م
16	الظاهر خشقدم	865-872هـ/1461-1467م
17	الظاهر يلباي المؤيدي	872هـ/1467م
18	الظاهر تمربغا	872هـ/1468م
19	الأشرف قايتباي	872-901هـ/1468-1496م
20	محمد بن قايتباي (المرة الأولى)	901-902هـ/1496-1497م
21	الأشرف قانصوه خمسمائة	902هـ/1497م
22	محمد بن قايتباي (المرة الثانية)	902-904هـ/1497-1498م
23	الظاهر قانصوه الأشرفي	904-905هـ/1498-1500م
24	الأشرف جانبلاط	905-906هـ/1500-1501م

(1) صلاح، محمد، المفاوضات والمعاهدات بين المماليك البحرية والصليبيين في بلاد الشام (ص331)

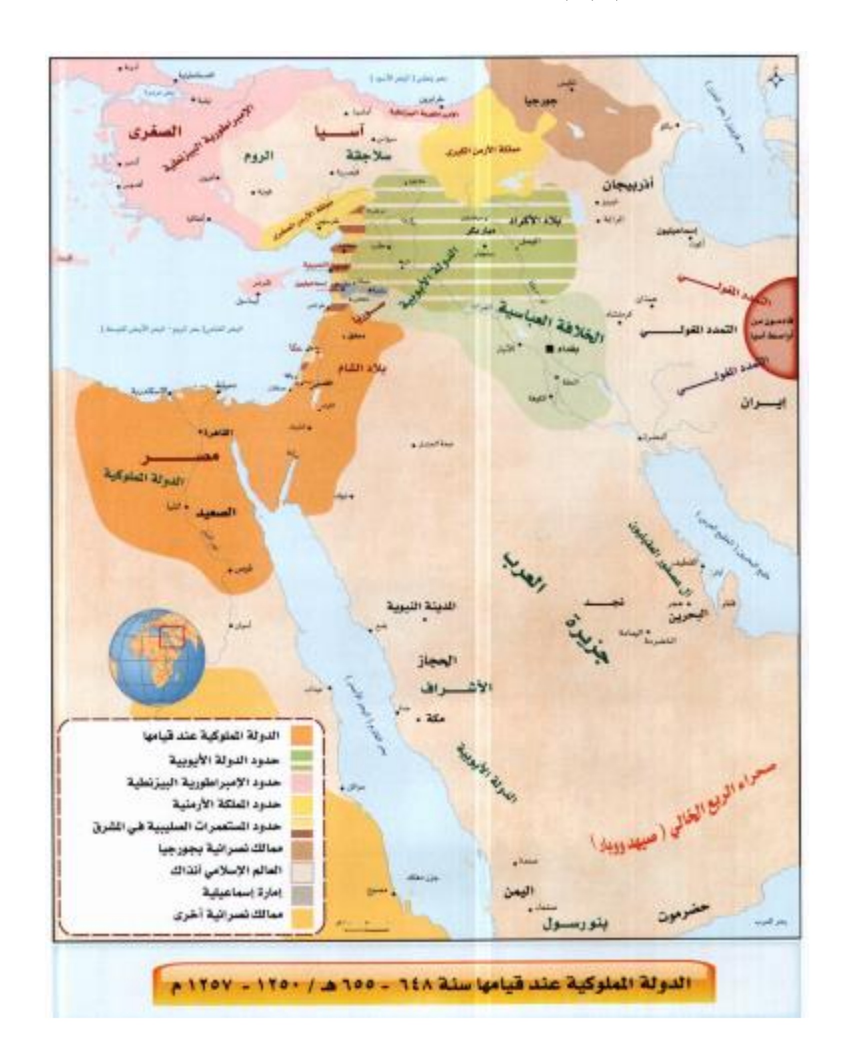
25	العادل طومان باي الأول	906ه/1501م
26	الأشرف قانصوه الغوري	906-922ه/1501-1516م
27	الأشرف طومان باي الثاني	922-923ه/1516-1517م

ملحق رقم (3) جدول قائمة أهم الثورات الداخلية في الدولة المملوكية

م	الثورة	زمن السلطان	السنة	نوعها	المكان
1	ثورة الاعراب في الصعيد .	المعز أيبك.	652هـ/1254م	شعبية	مصر
2	ثورة الأمير عز الدين أيبك .	المعز أيبك.	653هـ/1255م	أمراء	مصر
3	ثورة الكوراني الشيعي .	بيبرس البندقداري.	658هـ/1260م	شعبية	مصر
4	ثورة علم الدين سنجر الحلبي .	بيبرس البندقداري.	658هـ/1260م	أمراء	مصر
5	ثورة الأمير أقواش البرلي .	بيبرس البندقداري.	660هـ/1262م	أمراء	بلاد الشام
6	ثورة الأمير قلاوون .	السعيد بركة	678هـ/1274م	أمراء	مصر
7	ثورة الأمير قلاوون .	سلامش	678هـ/1274م	أمراء	مصر
8	ثورة الأمير سنقر الأشقر .	المنصور قلاوون	678هـ/1274م	أمراء	بلاد الشام
9	ثورة العامة (الحرافيش) الأولى .	بيبرس الجاشنكير	707هـ/1307م	شعبية	مصر
10	ثورة الناصر محمد .	بيبرس الجاشنكير	709هـ/1309م	أمراء	مصر
11	ثورة العامة (الحرافيش) الثانية .	بيبرس الجاشنكير	709هـ/1309م	شعبية	مصر
12	ثورة العامة ضد الأمير قوصون .	الأشرف كجك	742هـ/1341م	شعبية	مصر
13	ثورة العامة ضد ولي القاهرة .	الأشرف زين الدين	770هـ/1369م	شعبية	مصر
14	ثورة الأمير يلبغا الناصري .	الظاهر برقوق	791هـ/1389م	أمراء	بلاد الشام
15	ثورة الأمير منطاش ضد الأمير يلبغا الناصري .	الصالح حاجي	791هـ/1389م	أمراء	مصر
16	ثورة الظاهر برقوق ضد الأمير منطاش .	الصالح حاجي	791هـ/1389م	أمراء	بلاد الشام
17	ثورة الأمراء ضد الأمير ططر .	المظفر أحمد.	824هـ/1421م	أمراء	بلاد الشام
18	ثورة العبيد ضد المماليك الجلبان.	الأشرف برسباي.	840هـ/1436م	شعبية	مصر
19	ثورة الأمير جقمق .	جمال الدين أبو المحاسن.	842هـ/1438م	أمراء	مصر
20	ثورة الأمير قرقماس .	الظاهر جقمق.	842هـ/1438م	أمراء	مصر
21	ثورة الأمير تغري برمش .	الظاهر جقمق.	842هـ/1438م	أمراء	بلاد الشام
22	ثورة الأمير أينال العلائي .	المنصور عثمان.	857هـ/1453م	أمراء	مصر
23	ثورة المماليك الجلبان .	أينال العلائي.	859هـ/1455م	أمراء	مصر
24	ثورة الامير قانصواة خمسمائة .	الناصر محمد ابو	892هـ/1487م	أمراء	مصر

		السعادات			
25	ثورة الأمير أقبردي .	الناصر محمد ابو السعادات	904هـ/1499م	أمراء	بلاد الشام

ملحق رقم (4) خريطة دولة المماليك عند قيامها[1]



الدولة المملوكية عند قيامها سنة ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ / ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م

---

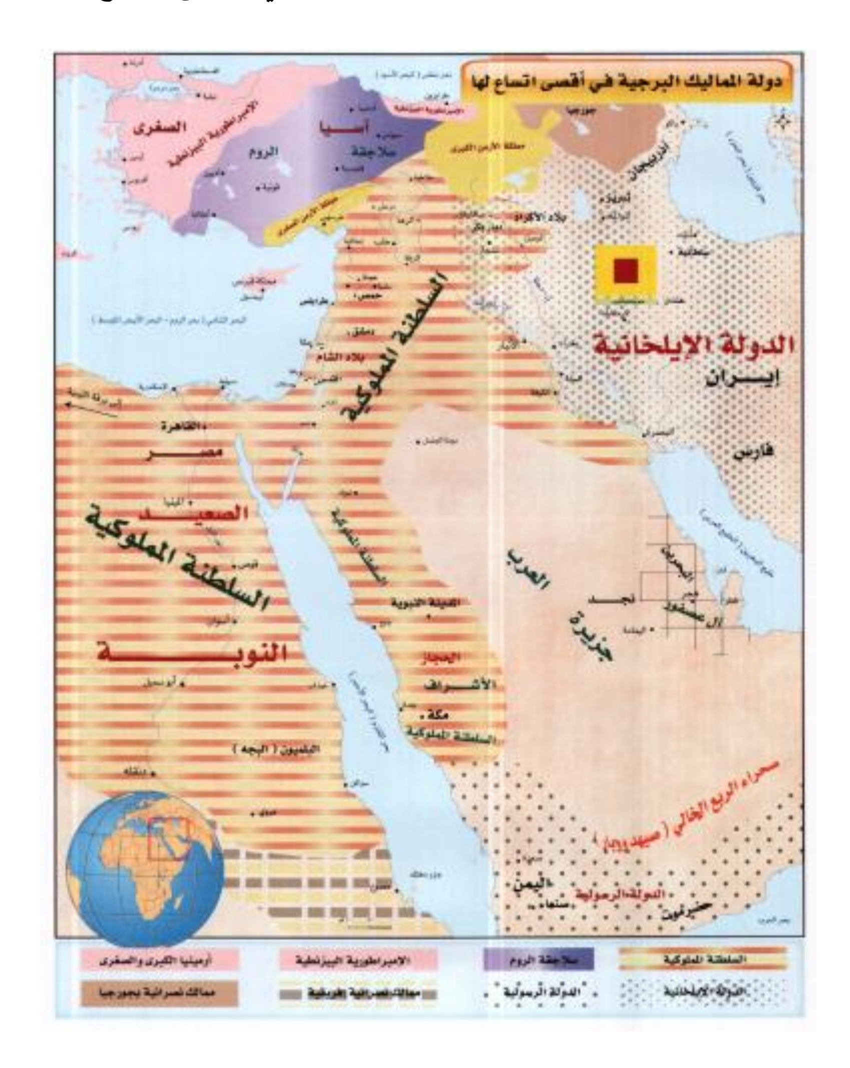
(1) المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد، أطلس تاريخ العصر المملوكي(ص24).

ملحق رقم (5) خريطة توضح خط سير السلطان الناصر محمد عند عودته لمصر 709هـ [1]



(1) المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد، أطلس تاريخ العصر المملوكي(ص119).

ملحق رقم (6) خريطة دولة المماليك البرجية في أقصى اتساع لها[1]



(1) المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد، أطلس تاريخ العصر المملوكي(ص156).